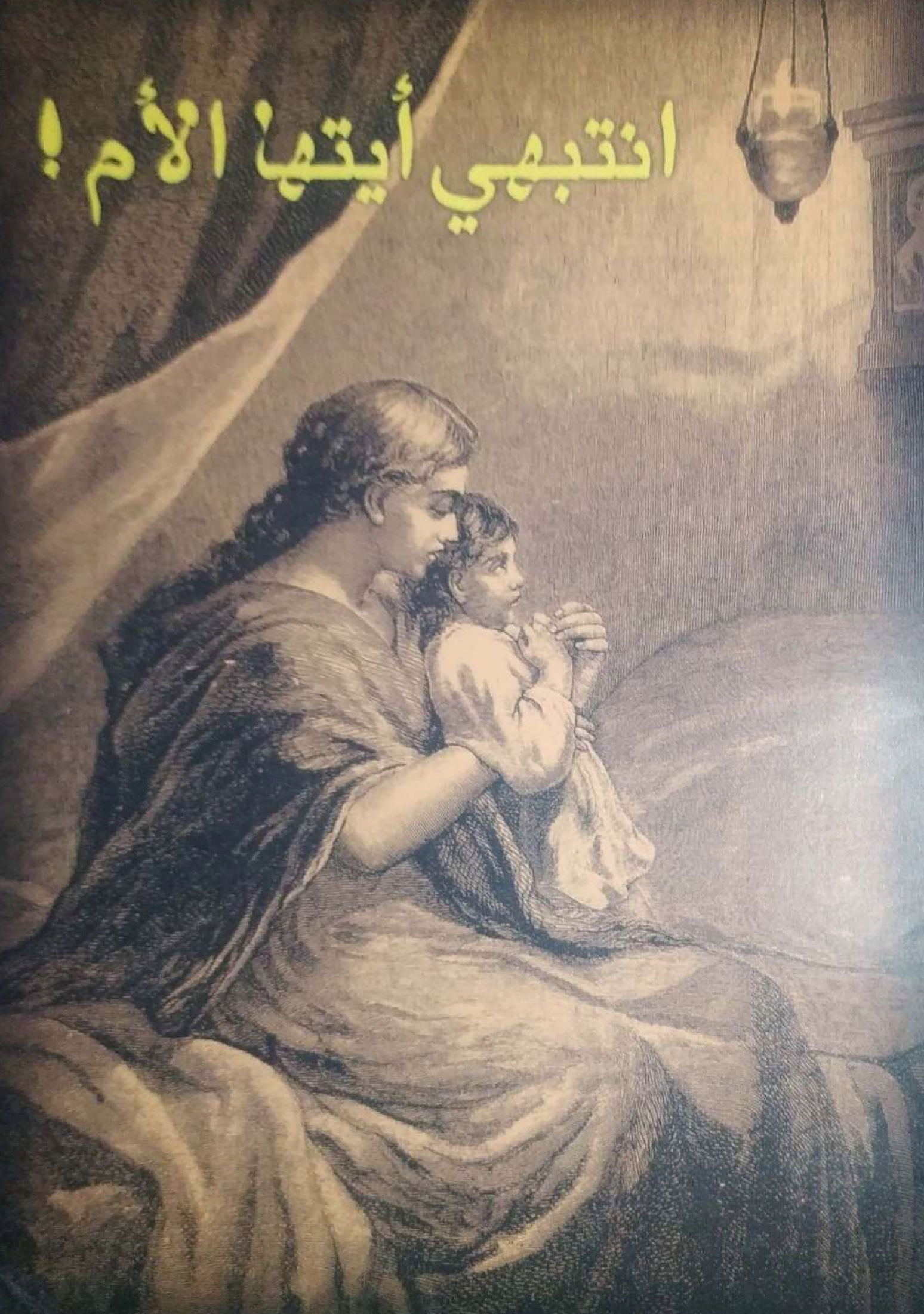
انتبهي أيتها الأم!

عنوان الكتاب الأصلي:

«ΜΗΤΕΡΑ, ΠΡΟΣΕΧΕ!»

Επισκόπου Αικατερινμποργκ καί Ιρμπίτσκ Ειρηωαίου

Α - ΚΒ' εκδόσεις: 1976 - 2004

ΚΓ έκδοση: Δεκέμβριος 2005

Μετάφραση, εκδοτική επιμέλεια ηλεκτρονική επεξεργασία:
Ιερά Μονή Παρακλήτου, Ὠρωπός Αττικής.

مطران إيكاتيرنبورك وإرمبيتسك
إيريناوس

انتبهي!
أيَّتُها الأُمّ

نقلته عن اليونانية

ماريّا قبارة

التدقيق اللغوي

ليال كبّاس

مكتبة البشارة – بانياس
2007

منشورات
مكتبة البشارة – بانياس

جميع الحقوق محفوظة

طبعة أولى
٢٠٠٧

الطباعة
مطابع ألف باء - الأديب
دمشق

الإهداء

إلى كلِّ الأُمَّهات...

والدة الإله، والقدِّيسات اللواتي في السماء

المجاهدات اللواتي في العالم

المنتقلات عنَّا اللواتي وإنْ كنَّا غائبات بالجسد، لكنهن حاضرات بالروح بصدى صوتهن، ووقع نصائحهن، وذكريات محبَّتهن العاضدة لنفوسنا المتعبة في صحراء هذا العالم

الفهرس

الفهرس		٩
مقدمة المعرّب		١١
مقدمة الطبعة اليونانية		١٣
الفصل الأول	متى تبدأ التربية؟	١٥
الفصل الثاني	أساسات التربية	٢٥
الفصل الثالث	التنشئة على الطاعة	٣٧
الفصل الرابع	بعيداً عن الكذب	٥١
الفصل الخامس	إعصار اللذّات الشهوانية	٦١
الفصل السادس	بذور الشر	٧٣
الفصل السابع	التخلُّص من الأنانيّة	٨٣
الفصل الثامن	أصل كلِّ الشرور	٩١
الفصل التاسع	سمّ الحسد	٩٩
الفصل العاشر	دعوا الأطفال يأتون إليَّ	١٠٧
الملحق	أخيراً، كيف... تدمِّرون أولادكم	١١٩

مقدمة المعرِّب

"هذا هُوَ ابني الحَبيبُ الذي بهِ سُرِرْتُ" (لوقا ٣:٢٢)

في كنيستِنا الأرثوذكسيّة، الإنجابُ ليسَ غايةَ الزواج، فهو ثمرةٌ تأتي أو لا، وإن لم تكنْ فالزواجُ كاملٌ برباطِ المحبّة؛ فالشريكان اللَّهَ هدفهما. وإذا جاءَ الولدُ فعلينا أن نربّيه برعايتِنا واهتمامنا واضعين نُصبَ أعيننا أنّه وديعةُ اللّه الثمينة والمطالبونَ بها يوم الدينونة

يقول الكتاب المقدّس: **"لا تغيظوا أولادكم، بل ربُّوهم بتأديبِ الربِّ وإنذاره"** (أفسس ٦:٤). وهذا يتطلبُ وداعةً كبيرة وأمانةً روحيّة في جميعِ الصغائر، وهكذا يُصقلِنا تأديبَه وتهذيبَه واهتمامَنا بمواهبه. فإذا بنا أيقوناتٌ حيّة تحدّث أولادَنا عن اللّه، وإذا بأولادِنا يتدرجّونَ مع اللّه عِبر علاقتهم بنا في معارجِ القداسة

أمورٌ تربوية أساسيّة كهذه نراها بين سطور هذا الكتاب الروسيّ الأصل، والذي جاءت لغته سهلةً وتراكيبه بسيطةً ليتناوله كلّ بيتٍ عائليّ يهمّه نموّ أولاده وعائلته في معرفةِ المسيح. فالتربيةُ أولاً قرارٌ، موقفُ حبٍّ لا يحَدُّ يأتي بنا إلى الصليب متشبهينَ بالعذراءِ مريمَ أمِّ الكنيسة ومقدمينَ أثمارَ التعبِ والرعاية "أولادَنا"

تمجيداً وتسبيحاً للربّ فنسمع صوتَه: "**تعالوا يا مباركي أبي رِثوا الملكوتَ المعدَّ لكم منذُ إنشاءِ العالم**" (متى ٢٥: ٣٤)

شكراً:

لأمّي وعائلتي الذين لم يتوانوا في رعايتهم لي

لصديقتي شيرين

لإخوتي الأحبّاء في مكتبة البشارة على قيامهم بإصدار هذا العمل التربويّ البنّاء

للآباء والرهبان في دير المعزي "البراكليتو" الذين بفضل صلواتهم، نأمل أن تدخلَ جملُ هذا الكتاب إلى قلوب العائلات المهتمّة بتأمين حياةٍ فضلى أخلاقيّة لأولادها

المعرِّب

عيد دخول السيّد إلى الهيكل

٢٠٠٧/٢/٢

مقدمة الطبعة اليونانية

من دونِ أيّ أدنى شكٍّ، يمرُّ شبابُ عصرنا اليوم في أزمةٍ تربويةٍ أخلاقيةٍ كبيرة، ومسؤوليةٌ كهذه لا تقع عليهم بل علينا نحن الكبار - أهالٍ، أساتذةٍ، إكليروس، آباء روحيين - ؛ فقد فقدنا اتجاهاتِنَا الروحيّةَ وعلى الأكثر فقدنا تربيةَ أولادِنا الحقيقيةَ "على صورة اللّه"

فدورُ الأهل اليومَ للأسفِ أصبحَ بؤرةَ فسادٍ في تربيةِ وتهذيبِ الأولاد. أمَّا من يربي أطفالَه تربيةً جيدة وفي العمر المناسب فالحياةُ بالمسيحِ تمتدُّ وتتجذَّرُ مستقيمةً فيهم، وعندها لنْ تستطيعَ أيّةُ عاصفةٍ اقتلاعَها في سنِّ البلوغِ والشباب

هذه الحقيقةُ الكبرى تريدُ أن تشهدَ عبرَ صفحاتِ هذا الكتاب. بقلمِ المطران الروسي "إيريناوس" والذي أرادَ من خلالهِ مخاطبةَ الأهلِ عن تربيةِ الأولاد وخاصّةً في المراحلِ الأولى من عمرهم منَ الخامسةِ وحتى العاشرة

محتوى الكتابِ مدهشٌ، وممتلئٌ بالملاحظاتِ التربويّةِ والكنسيّة؛ كتابٌ صغيرٌ لكنّه فريدٌ بتفاصيلَ دقيقةٍ تشرحُ دورَ الأهلِ في التربيةِ، وكأنّ الكاتبَ فيه طبيبٌ نفسانيٌّ أو مُربٍّ

محترفٌ؛ أمَّا جملُ الكتابِ فجاءت بسيطةً واضحةً، ليتمكَّنَ كلُّ شخصٍ من قراءَتِه، ويتيقّنَ من خلاله أنّ مواضيعَهُ وطروحاتِهِ لا تَبْطلُ، فمشاكلُ الإنسانِ وخاصّةً في مرحلةِ الشبابِ هي نفسُها لا تتبدلُ ولا تتغيرُ على مرّ الأزمانِ. هذا الكتابُ مستوحًى من طفولةِ الربِّ يسوع وتعاليمَهُ للأطفال

تعاليمُ وأحاديثُ "المطران إيريناوس رئيس أساقفة ايكاترينبورك" نُشِرتْ في عام ١٩٠١م في أسقفيته، وقد ترجَم رهبانُ الدير هذا الكتابَ من اللغةِ الروسية إلى اليونانية ونُشر بعدة طبعات:

١٩٧٦ – ٢٠٠٤م طُبعت اثنتان وعشرين طبعة وفي العام ٢٠٠٥م طُبِعت الطبعةُ الثالثةُ والعشرون

أضفنا في نهاية الكتاب ملحقاً بمقطعٍ طريفٍ يعطي الأهلَ طرقاً سريعةً ومختصرةً لكي .... يدمِّروا أولادهم!

وفي دائرةِ جفافِ وحيرةِ الأساليبِ في تربيةِ الأطفالِ المختلفةِ تَظهرُ تربيةُ الإنجيلِ فريدةً ومتميّزة. هذه البذرةُ الإنجيليةُ الخالدة هي أحاديثُ قدّمْناها للأهلِ والمرَبِّيْنَ المسيحيينَ، آملينَ بالصلاةِ أن تثمرَ هذه البذرةُ مئةَ أضعافٍ من الثمارِ في كلّ عائلةٍ وبيتٍ

دير المعزي "البراكليتو" المقدَّس

أثينا

الفصل الأول

متى تبدأ التربية؟

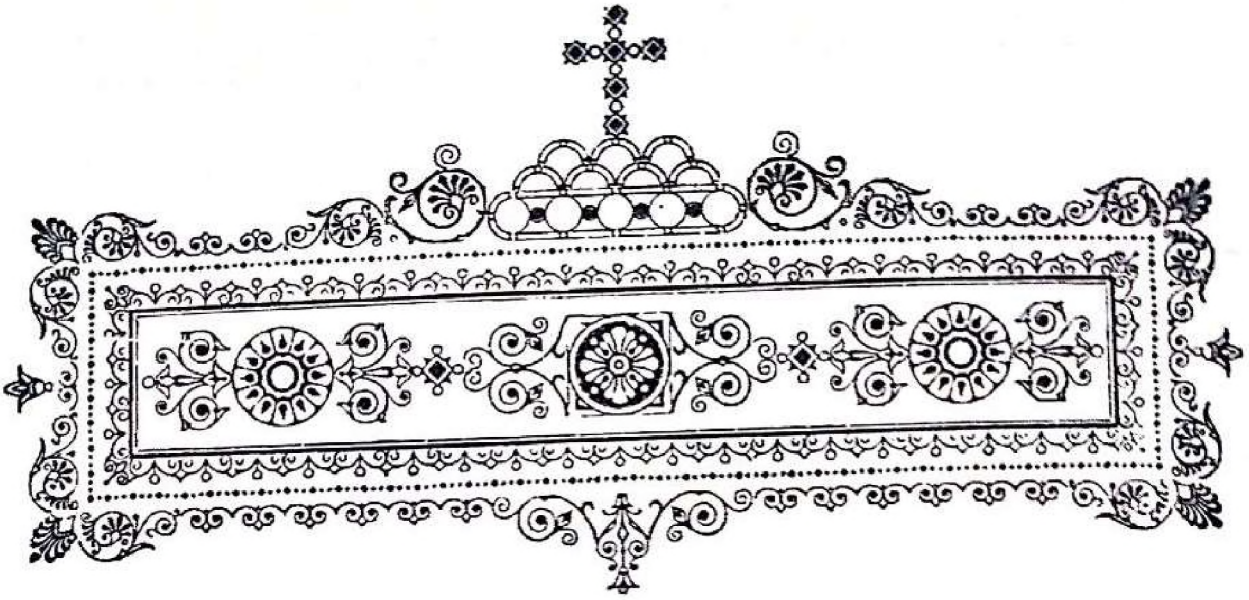

طلبَ ناسكٌ متميّز بقداستِه وسيرتِه وإنسانيّتِه من أحد تلامذته أمراً بالطاعة كي يختبره قائلاً: "اقتلعْ هذه الشجرة من الأرض"، وأشارَ إليه بشجرة نخيل ضربتْ جذورَها عميقاً في الأرض. فعمل التلميذ بطاعةٍ وحاول بكلّ طاقته تحريك الشجرة لكنّه لم يستطع مطلقاً. فنادى شيخه: "يبروندا، إنّ ما أعطيتني إيّاه لأعمله مستحيل للغاية!". عندئذٍ أشار إليه الشيخ بشجيرة أخرى غضّة، فاقتلَعها التلميذُ مباشرةً دون أيّة محاولة أخرى

استطاع هذا التلميذ أن ينتزع الشجيرة الغضّة من الأرض من دون جهد أو عناء، على عكس الشجرة التي ضربت جذورها في الأرض وهرمت حتى إنّه لم يستطع أن يهزها

هذه الرواية مرتبطة ارتباطاً جذرياً بمفهوم التربية. حيث نرى الأهل ضعفاء تجاه أولادهم الكبار لأنّهم لم يبدؤوا تربيتهم والاهتمام بهم في العمر المناسب. ويقول أحد الأمثال: "**اسمع يا بنيَّ واقبل رأيي ولا تنبذ مشورتي**" (حكمة سيراخ ٢٣:٧)

نهنِّئ البعض من الأهالي على التربية الحسنة التي ربُّوا بها أولادهم، فهؤلاء المؤمنون الحسنو العبادة لديهم أطفال ذوو أخلاقٍ حسنةٍ، ولكن للأسف غير مرغوب بهم في مجتمعنا

إنّ الكثير من الأهل غير مهتمين بتربية أطفالهم الأخلاقية، فهم يعمونْ بمحبتهم المفرطة لهم ولا يريدون أن يروا فيهم أيةَ شائبة وعيب. يتجاهلون ملاحظات الآخرين ويرفضون سماع الحقائق والنصائح لأولادهم، ولكن عندما يزّل الأولاد برذائل لا تحتمل عندها يبدأ الأهل بالتفكير المليِّ في إصلاح ابنهم أو ابنتهم. ولكنَّ الالتجاءَ للتربية هنا يكون متأخراً جداً. فأرى أنّه من الضروري أن أبيّن لكم أسباب بدء التربية منذ الطفولة الأولى

أنتم خير من يعلم أنّ البذرة تنمو في داخل الأرض بسرعة وتساعد عوامل كثيرة في التأثير عليها، كالحرارة والرطوبة التي توقظ النبتة النضرة داخل التربة وتبدأ تدريجياً بالظهور على وجه الأرض. والأمر نفسه يحدث مع الطفل الذي يشبه البذرة، فهو يأتي إلى العالم ويكبر تدريجياً. فالطبيعة البشرية تكبر بمقدار

أكبر في عمر الطفولة عمّا بعد. لهذا فهناك حاجة ماسّة للعناية والتعهد بها في السنين الأولى لحياتها

إنّ النمّو الروحي أيضاً يكبر بسرعة وثبات كما في النمّو الجسدي. فيبدأ الطفل التعلّم والتفكّر في المفاهيم الأولية، تشتدّ إرادته ويتأمل ويحكم على الأشياء فيغتني ذهنه بأفكار موضوعية ظاهرة من محيط بيئته. ويدرك ويفهم معها مفهوم اللّه، ويستطيع أن يعبّر عن هدفه وقصده ويفصل بين الجيد والسيئ. يصحو فيه الضمير وتبدأ تتحرك فيه مشاعر المحبّة أو الكراهية، والاحترام والخجل

لنفحصْ بدقة جميع الإمكانيات والمحاولات التي تؤهل الإنسان أن يماثلَ اللّه. وعلى الأهل بدايةً أن يحاولوا بانتباه كبير التدقيقَ في أخلاق طفلهم؛ فالتربيةُ لها شقّان:

الأول: اقتلاع الشرّ

الثاني: زرع الخير

وتربية الأطفال واجبة منذ سني الطفولة الأولى. لا يعطي الكثيرُ من الأهل اهتماماً لهذه النقطة ولا يعرفون أنّ تربية الطفل تبدأ من الصغر. والقليل منهم وخاصّة حديثو العمر في الزواج، وعلى المدى الطويل يرون طفلهم كلعبة أو دمية، يطعمونه، ويحملونه لينام، يدلّلونه، يلعبون معه ويمرحون، ويحضنونه بكلّ الوسائل

لكي لا يصاب بالبرد أو بأيّ مرض...الخ. وإضافةً إلى كلّ هذا يتركونه يركض ويلعب ويعمل ما يحلو له. فقط ألاّ يزعجهم بأصوات بكائه

هؤلاء أنفسهم لا يدركون أنّ هذا "الملاك" فيما بعد سيصبح عنيداً، متذمراً، عاصٍ، طماعاً وشرهاً وفي النهاية ولداً سيئ الطباع. حينها سيبصرون الحقيقة ولكن، أيها الأهل الأحباء، الوقت تأخر جداً والشجرة قد كبرت الآن كثيراً!

أيضاً بعض الأهل، وهم ليسوا بقلّة، يخطئون الهدف ولديهم من مفاهيم التربية الخاطئة الشيءَ الكثير، وهي اليوم قد تجذّرت في عقولهم وتأصلت. وهذه المفاهيم يصعب اجتثاثها. فيعطون حججاً وعللاً عن الرذائل والشرور المتنوعة التي يتصرف بها أولادهم، ومن جهة أخرى يحجبونَ الكسلَ واللامبالاة عن تنشئتهم الخاصّة لهم

يقول الأهل ذوو المشاعر الرقيقة: "إنّهم أولاد، هل نعطي أهمية كبرى لزلاتهم وأخطائهم؟"، وبمثل هذه التشابيه يدعمون ويغفرون أخطاء أطفالهم دوماً. إنّهم بالفعل أطفال، وأيّ أطفال!. ويتابعون القول: "ماذا سيخرج من هؤلاء الأطفال، هل لديهم أخطاء، وهل يعملون الشرّ. أمن المنطق أن يكترث المرء لزلة صغيرة قام بها ولد صغير؟"

إن اشتعلت النّار داخل المنزل هل نتعجّب ونقول: "ما أجمل هذه النّار!"، أم نهرع طالبين قوى المساعدة لإطفائها؟. هكذا تبرز داخل الطفل الأهواء وتهدده بتقدّم العمر والزمن

بعض الأهل ذوو الفطنة يقولون: "مع الزمن تأتي التربية، فالولد يبدأ يفكر بنفسه ما هو الجيّد وما هو السيّء". إنّ هذا لضلال مهلك! له حدّان: يستطيع المرء أن يتحوّل إماّ للخير أو للشرّ؛ فالعقل وحده لا يكفي كي يدلّنا على الخير، والمعرفة البسيطة لا تفيد شيئاً؛ فالعقل تعطّله الشهوة. فيجب أن يختار الصلاح وأن يكون قد اعتاد عليه. وعلى هذه الأمور يربّى الطفل وهو في مراحله الطفولية الأولى، ويُرشَد بالتربية كي لا يعرف الخير متأخراً. وإن لم تبدأ التربية في العمر المناسب، فعقله يكون هديّة خطرة جداً. فكثير من الناس لديهم عقل قوي لكنّهم اليوم في السجون ودور التأهيل. فماذا نجد هناك؟ هذا بالضبط لأنّ التربية والمعرفة "أتت مع الزمن....!"

والعقل الراجح الخيّر من طبيعة الإنسان، إن لم يقبل التربية الصحيحة في العمر المناسب فسيميل إلى الشرّ. إنّ الأهالي يبررون أخطاء الأطفال والشباب في المواقف الصعبة التي يتعرضون لها. ويبرّر الأهل هذه الأفعال بقولهم: "أنستطيع أن نطالب بالفضائل وننتظرها من عمر الطفولة؟". يقدّم لنا الإنجيل

مثالاً رائعاً عن حياة ربّنا يسوع المسيح: "**وكان الصبيّ ينمو ويتقوّى بالروح ممتلئاً حكمةً وكانت نعمة اللّه عليه**" (لوقا٢: ٤٠-٥٢). وإذا تذكرنا الشهداء نرى حياتهم المقدسة، أنّهم في عمر الطفولة اكتسبوا فضائل العبادة وحسن الطاعة وكانوا عديمي الشرّ، وهم ليسوا بقلّة. يقول مخلصنا للأطفال: "**دعوا الأطفال يأتون إليّ**" (متّى ١٩: ١٤). وأيضاً "**من أعثرَ أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي فخير له أن يعلّق في عنقه حجر الرحى ويغرق في لجّة البحر**" (متّى ١٨: ٦)

إذاً هل من المستحيل على الأطفال أن يظفروا بالفضيلة؟. يقول السيّد: إنّ الفضيلة تُقتَنى في العمر الصغير لأنّ الطفلَ يكون نقياً وطاهراً. لهذا، واأسفاه! على الأهل الذين لا يهتمون بأن يزرَعُوا في نفوسِ أولادِهم العادات الجيّدة والميل نحو الخير وخاصّة في سني الطفولة"

إنّ الطفلَ يحصل على ما يريد بصوت بكائه، وبه ينال رغبته ومراده. ويعيد هذا الأمر بإصرارٍ أكبر ليحصلَ على ما يشاء مدركاً أنّ بكاءه هو السبب في حصوله على ما يريد

سأخبركم عن الإمبراطور الروماني "دومتيانوس" الذي كان من المضطهدين القساة للشعب المسيحي في القرون الأولى. نجد أنّه عندما كان طفلاً صغيراً كان يروق له أن يؤذي ويقتل

الحيوانات المختلفة الأنواع. وبالتالي هذه الخشونة الفظة التي امتلكها كانت متأصّلة فيه من مرحلة الطفولة. لهذا علينا نحن أن نبدأ بالتربية منذ الطفولة

تابعوا دوماً ميل أطفالكم، راقبوهم بالخير واقتلعوا الشرّ بالتربية الحسنة

إنّ البستاني يقلّم الأشجار في الوقت المناسب لها، يشذّب الشجرة من الأغصان الشائكة ويقتلع عن جذورها الحشائش البريّة الضارّة. وهذا هو بالضبط ما على الأهل أن يصنعوه مع أولادهم؛ فقلوب الأطفال كالحديقة، والأهل هم بستانيّو اللّه الذين عليهم أن ينظفوا الحديقة في وقتها (أي قلوب الأطفال) من حشائش الخطيئة البريّة ويمنعوا الشرور أن تتأصّل لتصبح عادات متجّذرة

إنْ تأخرتم وتأصّل الشرّ ونبتت حشائش الخطيئة في قلوب الأطفال، عندئذٍ لن تستطيعوا أن تخرجوها فيما بعد إلاّ بصعوبة ومع زؤانٍ كثير. وحينها "تشتكون وتتذمرون". يتساءل القدّيس يوحنا الذهبي الفم: "كيف سيكون طفلكم وديعاً؟"، ويتابع: "إنّ هذا بالأمر السهل إن عودتموه على ترتيب ونظام معينَين وعلمتموه أنَّ هناكَ عقاباً بعدم إتمام واجباته، وعملتم على معالجة مرض نفسه. عندها تصبح التربة مناسبة للزرع. وانتبهوا أن تقتلعوا الشوك في

وقته قبل أن يتأصّل شديداً. أمّا التغافل والتهاون فيصل إلى صعوبة التغلب على أهواء أولادكم"

إنّ التربية ليست فقط اقتلاع الشرّ من الطفل، بل هي أيضاً تعويده منذ الصغر على فعل الخير، فما هي الفضائل التي يجب أن نزرعها في نفوس أطفالنا؟. سنجيب على هذا السؤال بما يلي:

يُظهر لنا الكتاب المقدّس كلاماً أساسياً عمّا يجب فعله لتدريب الطفل على فعل الخير في مرحلة الطفولة. يتحدث الحكيم سيراخ كيف أنّه إن أُعطِيَ للشّابُّ طريقاً فلن يبتعد عنه حتى ولو شاخ، فكم بالحريّ إن أُعطي الإنسان وهو حديث العهدِ الطّريقّ السليم!. وإن تعوّد على حبّ الخير فعندما يتقدّم في العمر ويصبح شيخاً لن يتغيّر. وكما يقال في المثل الشعبي الشائع: "كما في المهد، هكذا في اللحد"، وسأذكركم بآية الحكيم سيراخ: "**اسمع يا بنيّ واقبل رأيي ولا تنبذ مشورتي**" (٢٣:٧)

وفي النهاية أؤكد أيضاً على كلام حكماء الشعب: "كما يتربّى الطفل على عادات الصِغر، هكذا يشيخ ويموت عليها"

الفصل الثاني

أساسات التربية

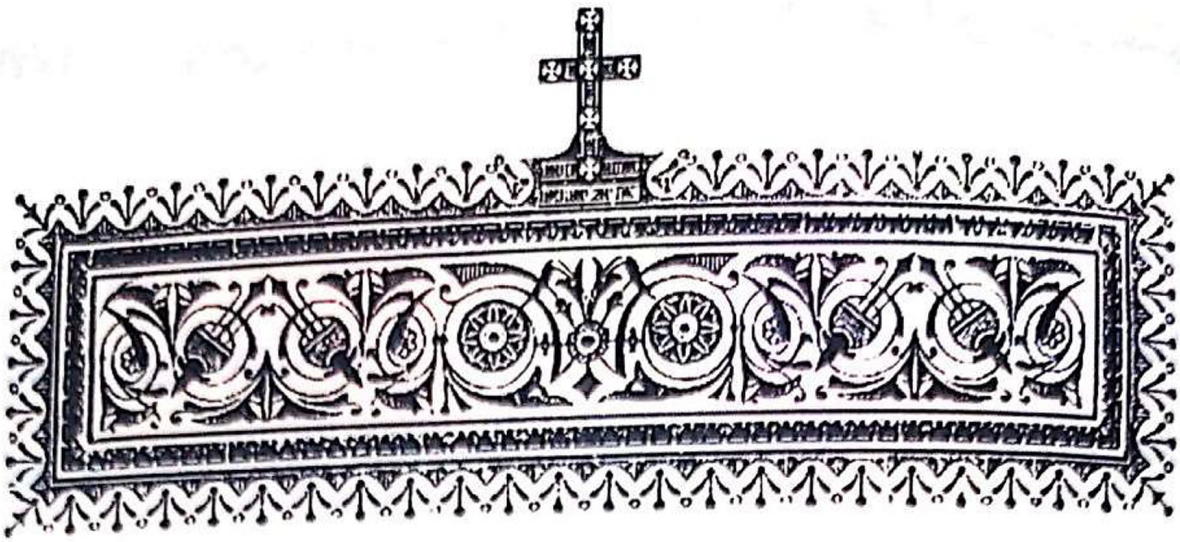

لقد شرحنا للتوّ أنَّ تربيةَ الأطفال المسيحية يجب أن تبدأ منذ مرحلة الطفولة، أيّ في عمر الخامسة والسادسة، وهذا هو العمر الأهم والأفضل للتربية ولاستمرارها في حياة الإنسان الباقية. وأشرنا فيما سبق أنّ للأهل دَيناً وواجباً وهو أن يجتثوا من نفوسِ أطفالِهم كلّ شرّ ويرشدوهم إلى فعل الخير. أمّا في هذا الفصل فسنرى بناءً عليه تحليلاً تفصيلياً عن أهمّ الأخطاء والزلات التي يقع فيها الأطفال، وسنتكلم عن المبادئ الجيدة التي على الأهل أن يتَّبعوها ليقتلعوا كل شرّ فيهم

خير ما نبدأ به كلام الحكيم سليمان: "**بَدْءُ الحكمةِ مخافة الربّ**" (أمثال ١:٧). هذه هي الفضيلة الأولى والأساسية التي على

الأهل زرعها في نفوس أبنائهم، وطبعاً أن يكون هذا في وقت مبكر جداً؛ فمخافة الله هي الإيمان والتقوى

ربما يتساءل الأهل، وخاصّة الأمهات، عن سبب تعليم الأطفال في سنِّ الطفولة الإيمانَ والتقوى؟ لأنّه عندما يكون الطفل يانعاً صغيراً يقتبلُ التقوى في حضن الكنيسة؛ عندئذٍ نأملُ منه في سنِّ البلوغ أن يكون غير متزعزع تجاه التجارب التي ستحيطُ به، والأهواءِ الموحشةِ التي ستحاصره، فيكون حينها إنساناً مستقيماً ومتمسكاً بالمبادئ التي تعلَّمها من أمّه، وبالنصائحِ والوصايا الدينيّة التي قدَّمتها له أمّه المؤمنة مع حليبه اليومي، وتابَعتْهُ بشكلٍ اعتيادي في كلّ مراحل نموّه

ومثل هذا الطفل الثابت بوجه الأهواء وغير المنحرف تجاه الشرّ، وإن أخذ طريقاً سيئاً سيتوب بسهولة ويعود سريعاً إلى طريق الخير عن ذاك الذي لم يُهتَمْ به اهتماماً مسيحيّاً مطلقاً، فالولد الذي يتربّى وينمو بتربية كنسيّة أرثوذكسيّة حتى وإن ابتعد عن الطريق المستقيم فسيشعر بنفسه ذات يوم ويتذكّر ذكرى أعوام براءته الطفوليّة السعيدة، والصلوات البسيطة التي تعلّمها من شفاه أمّه - حتى لو استراح الآن في القبر - وأيضاً النصائح التي سمعها من فمها عندما كانت تُجلسه على ركبتيها. فالذي ينسى الصلاة مساءً قبل ذهابه إلى النوم سيتذكّر أنّ أمّه قد علّمته أن

يرسم إشارة الصليب قبل أن ينام، وكانت أيضاً ترسم له إشارة الصليب في عمر لم يكن يستطيع فيه أن يحرك يديه الصغيرتين، ثمّ ترسم لنفسها أيضاً إشارة الصليب

هذه الذكريات الجميلة لبراءة سنّ الأطفال توقظ الكثيرين من سبات الخطيئة وتقرّبهم من اللّه؛ فعلى الأمّهات التقيّات الآن أن يدركن مقدار البركة التي يقدّمْنَها لأطفالهم! بتعليمهم الإيمانَ والتقوى منذ نعومة الأظفار

هذه الأمور تعلّمها الأمُّ حصراً وليست الدادا أو المعلمة أو المرشدة أو الجدّة، فالطفلُ يجب أن يعرفَ اللّه عن طريقِ الأمّ، ومن أيقونسطاس البيت وليس من باحة المدرسة. عليه أن يقوم بصلاته السَّحَرية الصباحيّة الأولى لأنّ الأمّ هي التي علّمته أن يصلّي، وهذا ما يجب أن تتَّبعه جميع العائلات المسيحيّة الأرثوذكسيّة الحقيقيّة

يقول القدّيس يوحنا الذهبي الفم: "حالما يبدأ الطفل بالإدراك على الأهل أن يعلمّوه الإيمان، والصلاة والترتيل، كما يحدث تماماً في الخدم الكنسيّة بوجود الأسقف والكهنة". ويوجّه الأمهات بقوله: "علّمن أطفالكنّ رسم الصليب، وإن كانوا لا يستطيعون بعدُ هذا ارسمن أنتنّ لهم إشارة الصليب، ثمّ لأنفسكنّ أيضاً". ويكتب القدّيس لأمّ أرملة تدعى "ليتو" ويقول: "إنّه لفرح عظيم لكلّ أمّ

مسيحيّة أن يتعلّم طفلها ويتلفظ باسم يسوع الكلي الحلاوة، بصوته الضعيف البريء والعذب، وبتلعثم لسانه في اللفظ!"

وحسبما أعتقد ومما تقدّم، نرى أن هناك مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الأهل وخاصّة الأمهات في تربية أطفالهنّ منذ السنوات الأولى لنموّهم. فعليهنّ بذر النفس بالعواطف الدينيّة وإشباعها بالحياة الأرثوذكسيّة التي لا حقاً ما تثمر ثمارَ الإيمان والتقوى

هل تتساءلون عن كيفيّة تغذية الأولاد بالحياة الأرثوذكسية وعيشها؟

يتمّ هذا إن علّم الأهل الأطفال من نعومة أظفارهم الحقائق الأساسيّة لإيماننا المقدس. لا تخافوا! فهذا سهلٌ لتقوم بفعله كلّ أمّ مؤمنة. فتشير لهم بدايةً عن الفردوس وأن البشر هناك كانوا سعداء لأنّهم كانوا يطيعون اللّه، وأنّ السماء مكانٌ جميل جداً وأجمل من المكان الذي نحن نعيش فيه، ثمّ تتكلّم عن آدم وحواء الذَين أخطأا تجاه اللّه بالخطيئة التي ارتكبوها فأصبحوا تعساء بابتعادهم عن اللّه وأسقطوا بذلك كلّ البشر. لهذا كانت هناك حاجة أن يأتي المخلّص إلى الأرض كي يستطيع البشر أن يدخلوا الفردوس مرة أخرى، وباب الفردوس هذا كان قد أغلقه اللّه بسبب خطيئة الجدّين الأولين. ستحدثونهم عن مولد ربنا يسوع وعن الرعاة المتواضعين والمجوس الثلاثة الذين أتوا وسجدوا ليسوع

في المذود، وعن الملك هيرودس الذي ذبح الأطفال الأبرياء، وعن صعود يسوع إلى الهيكل وهو في الثانية عشرة من عمره، وحياته المتعَبة في مدينة الناصرة. وتخبرونهم طبعاً عن آلام يسوع وموته على الصليب وكيف أنّه احتمل كلّ هذا ليرفع خطايانا ويفتح لنا باب السماء. وتتدرّجون في تعليم الأطفال وتخبرونهم عن الأناس الأشرار الذين فعلوا هذا بالرب يسوع ليعلم كلّ طفلٍ أن لا يكون ولداً شريراً بل أن يسعى للخير

وتتابع الأمّ الأحاديث والروايات عن القيامة وصعود الربّ إلى السموات! وسيطلب ابنها المزيد والمزيد... عندئذٍ تحدثه عن أمّ الرب، والدة الإله، وعن دخولها إلى الهيكل في سنّ الثالثة وعن حياتها هناك بالتفصيل. وتخبره أنّ العذراء تحبّ البشر وتستجيب تضرعاتهم وطلباتهم بالصلاة الحارة لها، وتخبره عن الملائكة القديسين وبالأخصّ ملاكه الحارس الذي يحفظه من كلّ شرّ. وتستغل أيضاً أعياد الكنيسة المتنوعة فيشعر الطفل بإيماننا الحقيقي العظيم. تخبره عن سبب وضع وتكريم الأيقونات المقدسة في كلّ بيت مسيحي، وعن الصليب الذي يلبسه على صدره كما هي حال كلّ طفل مسيحي والذي عليه ألاّ يخلعه أبداً. وتقصّ عليه قصّة الصلب ومن الذي صُلب مع المسيح. الأمّ المؤمنة تحضر ابنها كلّ يوم إلى أيقونسطاس المنزل ليرسما معاً إشارة الصليب،

وتعلمه الصلاةَ والسجودَ والخشوعَ، ولن تتهاون مطلقاً أو تتكاسل بأن تحضر الطفل كلّ أحدٍ إلى الكنيسة ليتناول الأسرار الإلهية

بهذه الطريقة تعلّم الأمّ الصالحة طفلها حقائقَ الإيمان القويم قبل أن يذهب إلى المدرسة، والتي يستطيع الامتثال بها وهو طفل صغير؛ فالأطفال كجهاز استقبال يلتقط من الكبار كلّ ما يعلمونهم إيّاه وخاصة فيما يتعلّق بالأمور الإلهية. ويكفي للأم التقيّة أن يكبر تحت تأثيرها

ثمّ تستطيع الأمّ أن تربط شجرة الميلاد الجميلة والتي توضع في كلّ بيت بقصّة ميلاد المسيح!. وتشرح معنى الفصح والخلاص والفداء الذي تمّ بيسوع المسيح. وتخبره أنّ اللّه أقام المسيح من بين الأموات. ونحن أيضاً عندما سنكبر سنموت ولكن إن بقينا صالحين سيقيمنا المخلص كما أقام لعازر صديقه

كم هو جميل أن يرضع الطفل المحبة والتقوى من الكنيسة وأسرارها المقدسة! ويدرك أن الربَّ "الحاضرَ في كلِّ مكانٍ" ملموسٌ ومحسوسٌ فيها. وتخبره أنّ اللّه يحبّ الأطفال كثيراً ويدعوهم دوماً إلى قربه. وبالتالي علينا أن نكون داخل الكنيسة واقفين ومستقيمين وأن نرسم إشارة الصليب بورع وسجود وانتباه وخشوع

نعم، أيّها الأهل! إن فاضَ قلبكم بالإيمان وبمحبّة اللّه، ستجدون مئات مضاعفة من الطرق والأساليب لتنقلوا مثل هذه المشاعر إلى أولادكم، فنحن نظلم أولادنا ظلماً كبيراً بعدم تلقينهم كنز الإيمان؛ كنز الأرثوذكسيّة، وهذه هي الحقيقة المطلقة؛ فنفس الإنسان - والطفل أيضاً - لها نفحةٌ مسيحيةٌ، وينتظر اللّه تجليّاتٍ مسيحيّةً من نفوس هؤلاء الأطفال، وهذا استناداً لما قاله المرنِّم صاحب المزمور (٨:٣): "**من أفواه الأطفال والرضّع نظمْتَ تسبيحاً**". ولكي تَثْبُتَ وتنمو في نفوس الأولاد الحياةُ الأرثوذكسيّةُ المسيحيّةُ، على الأهل أن يعلموهم منذ نعومة أظفارهم أن يشتركوا مع اللّه بالصلاة، ويستطيع الطفل ذلك وإن كان طفلاً صغيراً. ألا يطلب الطفل من أهله ما يرغب ويريد؟ فكم بالأحرى أن يطلب من أبيه السماوي!

علّموا إذاً طفلكم الصلاة وإن بدأتم من صغره، ستصبح هذه تدريجياً عادةً وحاجة. صلّوا بشكل منتظم صلاة السَّحَر والمساء مع أولادكم، وصلاة قبل وبعد الطعام. لا تقرّبوا من المائدة الحيوانات الأليفة بكافة أنواعها. علّموا الأولاد أيضاً صلاة الشكر بعد كلّ وجبة؛ فالذي يريد أن يحظى بعطايا اللّه عليه أن يشكره عليها أيضاً. صلّوا دوماً الصلوات المختصرة مثل: "أبانا الذي في السموات....." و"أيتها الفائق قدسها...." وصلاة يسوع "يا ربّ

يسوع المسيح..." والتي على كلّ طفل أن يعرفها

إنّها ظاهرة محزنة نراها اليوم في مجتمعنا، وهي أنّ صلاةَ العائلة قد فُقِدَتْ في كلّ مكان تقريباً. ولهذا السبب لدينا اليوم عائلاتٌ بائسةٌ وتعيسةٌ وفقيرةٌ في التربيةِ، لأنّ أعضاءها انعدَمَتْ عندهم الصّلاةُ ومعناها، ونسوا الإنجيل وآياتِه "**اسألوا تعطوا...**" (متّى ٧:٧)

قد يمانع البعض بقولهم: "إيه... الأولاد لا يفهمون الصلوات!". نعم هذا صحيح، لن يفهم الطفل معاني الصلوات، لكن يكفي أن يبقى في جوّ العبادة والتقوى (وإن كان طفلاً رضيعاً) فهذا المناخ هو ما يحتاجه فقط!. وإن لم يستطع أن يصوّر أيقونة اللّه داخله لكنّه مع ذلك يشعر به. ويشعر أيضاً أنّه أفضلُ أعمالِ اللّه فهو يحبّنا وعلينا نحن أن نحبّه. فعندما يتلفظ الطفل بكلمات الصلاة يفكر باللّه ويقدّم له مشاعره الطّاهرةَ النقيّة، مثل هذه الصلاة البريئة من فم الطفل مرضية لله أكثر من صلاة أفضل الحكماء والقدّيسين الذين يدركون كلّ كلمة، ومن ذاك الذي يصلي باستمرار لكن ببرودة الكلمات ودون حرارة القلب. فاللّه يرضى صلاةَ الأطفال، ونكرر كلام النبي كاتب المزامير: "**من أفواه الأطفال والرضّع نظمْتَ تسبيحاً**" (مزمور ٨:٣)

كي يتمَّ واجبُ التّربيةِ الكنسيّةِ الصّحيحةِ، يجب على الأهل

أولاً وقبل كلّ شيء أن يكونوا هم أنفسهم أتقياءَ، لديهم خوفُ اللّه وحبُّ الصلاة. فإن لم تكن الأمّ مؤمنة تقيّة، ولا تجدُ عزاءً وفرحاً في الصلاة فلن تتمكن حينها أن تمرّن أطفالها على التقوى والإيمان. أمّا إن كانت للأمّ حياةٌ روحيّة وعندما يراها الطفل تصلّي بتواتر وحرارة، عندها تستطيع احتضانه بأمانٍ في بدايات حياته

ألا ترون الآن أيها الأهل، ويا أيتها الأمهات ما هي المبادئ التي عليكم أن تنشئوا عليها أطفالكم، ولماذا يجب تعليمهم الإيمان الأرثوذكسي والصلاة منذ الطفولة؟

أيّتها الأمهات! ستُودِعْن في أطفالكنّ أفضلَ ميراثٍ بتربيتكنّ المسيحيّة الأرثوذكسية الصحيحة. علموهم حقائق الإيمان المقدّس والصلاة والتقوى منذ مراحل الطفولة. فباطلاً ستتعبون، - معلّمين ومرشدين، أهالٍ وأمهات - إن تأخرتم في التربية وإن لم تضعوا أساسَ البيت باكراً. انصحوا وأرشدوا أطفالكم إلى الحياة الأرثوذكسية ومخافة اللّه. عندئذٍ فقط تفخرون بهم وتتباهون، ولن تبكوا عليهم. وإن لم تكن مخافة اللّه في قلوب أطفالكم فسيكونون غير مطيعين لكم وناكرين لجميل اهتمامكم بهم. وإن علمتموهم محبة اللّه فسيحبونكم لا محالة

آباءَ وأمهاتٍ: أعيدوا أطفالكم إلى اللّه والسماء! عندها ستجنون منهم فرحاً على الأرض

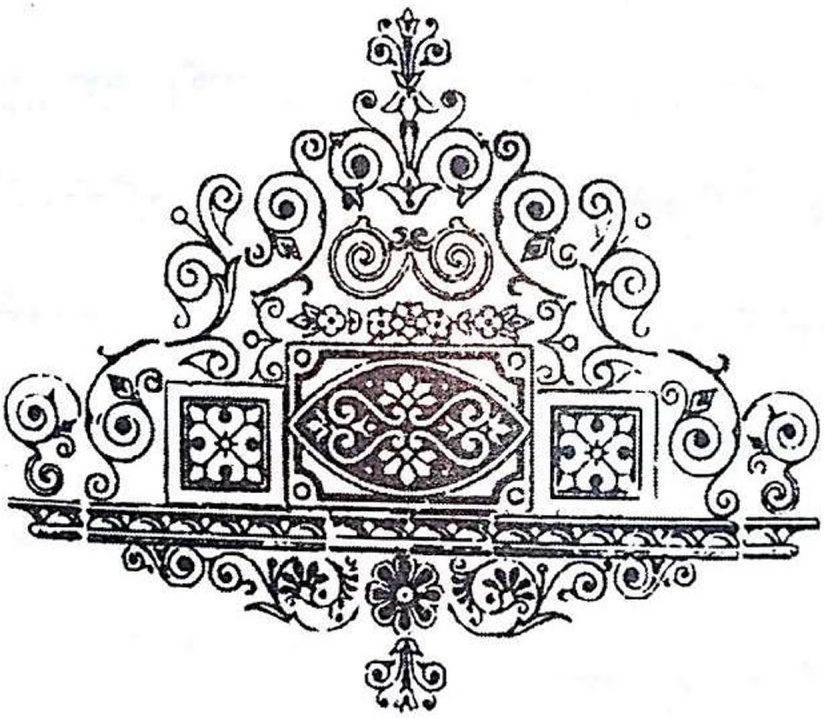

الفصل الثالث

التنشئة على الطاعة

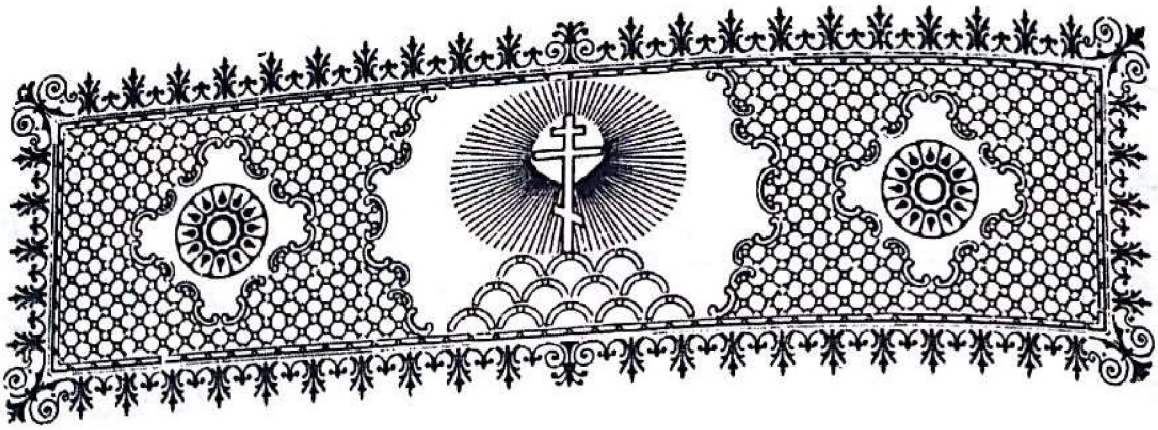

تُقدِّم بعض مقاطع الإنجيل أقوالاً عن طفولة الرب يسوع. وهذه المقاطع مهمةٌ ومفيدةٌ للغاية؛ فعندما كان الرب يسوع في الثانية عشرة من عمره "...**نزل معهما وجاء إلى الناصرة، وكان خاضعاً لهما**" (لوقا ٢:٥١). الأمر الذي يشدّد عليه الإنجيلي لوقا عن "الطفل يسوع" أنّه كان مطيعاً لأهله بالجسد، وفي الوقت نفسه كان مطيعاً لأبيه السماوي "**أطاع حتى الموت موت الصليب**" (فيليبي ٢:٨)

ويعلّق القدّيس بولس الرسول على هذا الموضوع بشكل أوضح بقوله: "**لأنّه كما بمعصية الإنسان الواحد جُبِلَ الكثيرون خطأة هكذا أيضاً بإطاعة الواحد سيُجعَل الكثيرون أبراراً**" (رومية ٥:١٩)

فهناك إذاً حاجة للتكلُّم عن معنى الطاعة المهم في حياة البشر عامة. وكم هو مهم عند الأهل أن يعرفوا أموراً كثيرة وخاصّة في تربية الأطفال، فمن يظفر بتعليم أطفاله الطاعةَ يحلُّ كثيراً من مشاكل التربية

والطاعة طريق سهلٌ وآمن للتربية، فإن كنتم تهتمّون فعليكم أولاً بتحقيق الطاعة. ولكن قبل هذا يجب أن نشدّد هنا على أنّ الطاعة هي هذه النباتات النادرة التي لا تستطيع أن تنمو أو تثمر في أيّ مكان، لكنّها تسرُّ وتبتهج هناك في التربية الملائمة لها. لكن للأسف، هناك كثير من العائلات لا تمتلك حساً بالمسؤولية كي تساعدَ في تنشئة الطاعة وتربيتها في الأطفال.

مثل هذه العائلات يسود عليهم القول: "ذوو روح انفلاشية"، يجادلون ويحتقرون كلّ قانون إلهي أو بشري وينكرون كلّ حقيقة قائمة. وهؤلاء يحتمون باللّه أو بالقانون البشري عند الدفاع عن تصرفاتهم فقط. فمثل هؤلاء المتسمّين بمثل هذه الروح من الاستحالة عليهم أن ينشئوا الطاعة عند أولادهم

ومن يريد أن ينمّي الطاعة في أولاده، عليه أن يحترم كلّ حقيقة معتمدة وكلّ مبدأ وقانون

والحقائق هي: اللّه، والكنيسة، والمجتمع

أمّا القوانين فهي: قوانين اللّه، والكنيسة، والقوانين المدنيّة

لكن، هل نحن أنفسنا نحترم تلك الحقائق والقوانين ؟

في بعض العائلات الشخصُ الأخيرُ الذي يُعطَى اهتماماً هو اللّه. ويتكلمون عنه فقط بعد قراءة أحد الكتب على سبيل المثال ليمدحوا - للأسف - الإلحادَ أو نكران حقيقة مسيحيّة ما فيه؛ ففي مثل هذه الكتب يُعتَبرُ الإيمانُ بشخصِ الإلهِ الحيِّ خرافةً وتناسب العجائز، والكثير منهم لا يشعرون بأيّة حاجة أن يشتركوا مع اللّه، بينما ما يفعلونه فقط مواجهة تهكّم الآخرين دوماً

ويرى الطفل كلَّ هذا ويسمعه، فما النتيجة التي يستخلصها؟. نستطيع أن نتكهّن بسهولة ما سيفكر به الطفل: "إن كان أبي لا يكرّم اللّه ولا يطيعه. فأستطيع أنا أيضاً ألاّ أكرّم اللّه وألاّ أسمع إلى أبي. وإن كان اللّه ووصاياه هي خرافة بالنسبة له، فالوصية الخامسة "أكرم أباك وأمّك" ستكون خرافة أيضاً. وبناءً عليه فليس لأهلي أيّة أهمية عندي، وليس لديّ أيّ واجبٍ أو دَيْنٍ تجاههم"

وعلينا أن نوافق هذا الفكر لأنّ المنطق هنا من صفِّ الأولاد!. هذا إذا أُخذ بعين الاعتبار أن كثيراً من الأهالي لا تعني لهم الكنيسة شيئاً، ومن السهل على المرء أن يفهم أن هذه العائلات ليس لديها اهتمامٌ في تنشئة الطاعة. فماذا أستطيع أن أفعل تجاهه أنا الكاهن؟ وبأيةِ نصائحَ أريدُ أن أنصحه؟ ربما نستطيع

أن نؤمن بما يقول!؟. مثل هذا الكلام - أو ما يلي - يسمعه الأطفال في المنزل، بينما في الكنيسة يتعلّمون أنّه يجب أن يكونوا مطيعين لأهاليهم، للكهنة ولمعلّميهم. أمّا في المنزل يتهكمون على شخص الكاهن وعمله ذاك الذي يعيد ويكرر أمام الأطفال الوصيّة: "أكرم أباك وأمّك". وينتهي الطفل إلى استنتاج نهائي وقناعة تامّة بالآتي: "طالما لا يعترف أبي بوصايا اللّه التي يتكلّم عنها الأب الكاهن، فلا داعي أن أسمع أنا أيضاً من الكاهن الوصيّة التعليمية الخامسة". هذا المنطق مرّة أخرى من صف الطفل!

الأمر نفسه يحدث أيضاً مع القانون المدني في الدولة... "لماذا عليّ أن أراعي القانون المدني؟ فأنا سيّد نفسي، وما أريده أفعله!". مثل هذه وغيرها يقولها الأب الطائش دون أن ينتبه إلى من يسمعه. هذا الكلام يوجَّه ضدّ القاون في الدولة، فبالنسبة لها غير ضار أو مؤذٍ، لأنّها تستطيع أن تُجبر على الخضوع بالقوة التي عندها، الأمر الذي لا يفعله اللّه أو الكنيسة!

في مثل هذه الأمور لا تجد الطاعة لها تربةً مناسبة كي تنمو في نفوس الأولاد. أمّا من يقرّ بحقيقة اللّه والسلطة الكنسيّة وكلّ قيادة فذاك لا يحتاج أن يطلب من أولاده أن يحترموا سلطته الوالديّة. فإن أردتم أن يصبح أولادكم مطيعين، احترموا أنتم الحقائق القانونيّة واحفظوا قوانينها. وبهذا فقط يتعلّم أطفالكم أن

يطيعوكم!

فلنفترض الآن أنّ هناك تربة صالحة كي نزرع أدب الطاعة عند الأطفال، فكيف نزرعها؟

الطاعة هي خضوع إرادتنا لمشيئة الآخر. لكن كي أخضع مشيئتي للآخر عليّ أن أحترمه، وأكثر من هذا أن أحبّه لأستطيع أن أتبعه؛ فالإرادة هي قدرة النفس القوية! وهذه تسود على كلّ قوى الإنسان النفسيّة. هذا هو ما نريده ونفكّر به وما نقوله ونفعله. إلهنا أعطانا هذه القوة النفسيّة لنريد ونفعل ما هو حسنٌ وصالح. وعلى العكس أن نكره الشرّ ونبتعد عنه. لكن ما يحدث أنّ إرادتنا تستحيل أمام الخطيئة وتميل بالأكثر نحو الشرّ، فلا قوّة في نفوسنا لإرادة الخير وفعله بثبات. "**لأني لست أفعل الصالح الذي أريده بل الشرّ الذي لست أريده فإيّاه أفعل**" (رومية ١٩:٧). فضعف إرادتنا الصالحة هذا إنّما هو نتيجة خطيئة الجدّين الأولين. فالمزاجية وصلابة الرأي يجب أن تُقمَعَ وتُقتَلَعَ منذ نعومة الأظفار

إنّ شتلة العنب تعطي ثماراً حلوة المذاق، لكن ليس عندما نتركها تكبر كما تريد، بل عندما نشذّبها ونعطيها الملّحاتِ والأسمدةَ اللازمة لها، ونرفعها على أوتاد فيزهر الغصن وتثمر الكرمة بالطاعة

وأيضاً لكي تضبط طفلك وعناده الطفولي وتلجم مزاجيته، عليك أن تعطيه ثمار الطاعة. وحتى تتذوّقوا ثمار الطاعة الحلوة هذه سجّلوا القوانين التي عليكم أن تتبعوها:

⌘ لا تسمحوا بالمزاجية والعناد لأولادكم منذ الصغر، ولا يعني هذا أن تسجنوا حرية إرادتهم نهائياً؛ فالطفل يستطيع أن يطلب شيئاً صحيحاً ومفيداً، شيئاً يحتاج إليه فعلاً، وأنتم عندئذٍ وبكلّ استعداد سترضون لرغبته

⌘ إنْ طلبَ الطفلُ في الساعة المناسبة طعاماً لأنّه جائع لا تمنعوه، فإن رفضتم طلبه ستكونون قساةَ القلوب وعديمي الرحمة

⌘ أيطلب الطفل شيئاً يحتاج إليه في المدرسة؟ عليكم أن تلبّوا طلبه، فقد يحاول اقتناءه والحصول عليه بطريقة محرّمة

⌘ وفي أحوال خاصّة متنوعة أيضاً، عندما يطلب الطفل شيئاً لا تأذنوا له، بل يجب أن ترفضوه غير مبالين لدموعه

⌘ لا تعطي أهمية لمزاجية الطفل مطلقاً، فالذي يظهر مرّة ليونة ومرونة سيصير عبداً لهذه المزاجية فيما بعد، وفي محاولة تذليل عناد ومزاجية الأطفال، على الأهل أن يعملوا بصبرٍ واجتهاد، وأن لا يهدم الواحد ما يبنيه الآخر

⌘ لن يصير الطفل مزاجياً طالما أن أحد الوالدين لا يسمح بالذي منعه الآخر؛ فعلى سبيل المثال، يأتي الطفل إلى الأم ويتذمّر

أمامها لأنّ أباه لم يعطه الشيء الذي طلبه. وعلى الأم هنا أن لا تعبّر له عن مشاركته في حزنه ولا بغضبها ضدّ أبيه لأنّه لم ينفذ ما طلبه الطفل "حبيبها الغالي" منه

⌘ الشيء نفسه يجب أن يفعله الإخوة الكبار والأقارب وكلّ الذين يسكنون في نفس البيت وخاصّة الجدُّ والجدّة. فكما هو معروف يجذب المسنّون الأولاد إليهم كي يجعلونهم مكرّسين لهم، ذلك أنّ الشباب لا يبقون دائماً إلى جانبهم فيعملون لأجل خاطر الولد كلّ ما يشتهي. لهذا يبقى الأطفال عند الجدّين لأنّهم يلبّون لهم رغباتهم

⌘ لا يجب مطلقاً أن نزرع المزاجية الطفولية. ولا يجب أن نسمح للطفل أن يأمر إخوته الأكبر منه سناً، أو أي شخص كبير العمر في البيت أو يطلب شيئاً ما بظلمٍ وتعدٍّ

⌘ إن كان الأطفال يريدون شيئاً ما عليهم أن يطلبوه وليس أن يأمروا لتحقيقه. ويجب أن يكونوا قنوعين بالشيء الذي حصلوا عليه ويشكروا مَن أعطاهم إيّاه

⌘ علينا ألاّ نتغافل عن عدم طاعة الأولاد. يجب أن يتمّ كلام الأب أو الأم دون شكٍ أو تردّد. وأن يصحو ضمير الطفل بأنّه: "إنْ لم يعمل بكلام والديه مباشرة فلن يكون سلوكه حسناً". وعلى الأهل واجب الالتزام بكلامهم هذا، وأن ما قالوه سيتمّ بأيّة حال

هكذا نستطيع أن ننتصر على مزاجية وعناد الطفل ونساعده أن ينمو بقوة إرادة ثابتة في الصلاح والخير ونزرع في قلبه أدب الطاعة في الوقت المناسب

وطالما أنّكم بهذه الطريقة اجتثثتم العنادَ والمزاجيةَ من نفس الطفل، ستستمرون هكذا أيضاً في المستقبل إلى أن يتقوّى أطفالكم بالاحترام كما يجب؛ فالاحترام موقف سابق أساسي للطاعة

والأطفال بطبيعتهم يميلون لاحترام والديهم. وهذه الطبيعة توحي بها الوصية الخامسة، فلا داعي أن يقال للأهل: تصرفوا بهذه الطريقة لكي يحترمكم أبناءكم. طبعاً يعرف الطفل أنّ عليه احترام أبيه وأمّه لأنّ اللّه يطلب هذا. ولكنّه لا يستطيع أن يحترمهم بالرغم من كلّ إرادته إن كان أهله يثيرون مشاعر البغض والكراهية والاضطراب في نفسه الطفوليّة البريئة

هل يستطيع الطفل أن يحترم أباً مدمناً على الخمر، وأمّاً تلعن وتشتم، أو أهلاً يضحكون ويقهقهون باستمرار؟

سوء تصرف الأهل لا يزعزع الاحترام لهم فقط، بل يقضّ ويهدم بطريقة شديدة أساسات الطاعة. ويتبادر إلى الذهن السؤال التالي: "أيّ نوع من الأهل أنتم؟"

لهذا، أيُّها الأهل، عليكم أن تنتبهوا إلى تصرفاتكم وأن تبتعدوا قدر استطاعتكم عمّا يزعزع احترام الطفل لكم. عليكم أولاً

أن تتملكوا مشاعر الاحترام المتبادل فيما بينكم وتتصرفوا بلباقة ولطف فائقين. لا تستقبحوا أحداً على الآخر، ولا تسمحوا لأنفسكم بمناقشات غير لائقة أمام الأطفال، فعلى الأطفال ألاّ يسمعوا جملاً كالتي تقولها الأمّ مثلاً: "ستكون مثل والدك غير نافع وعديم الجدوى"، أو أقوالاً من الأب مثلاً: "أنت مسرفٌ مثل أمّك، وكلّ ما قلته أكاذيب كما تقول أمّك". فعندما يسمع الأولاد مثل هذه الأقاويل والعبارات المنزلية، فباطلٌ هو الاحترام والطاعة التي تطلبها

أيّها الأهل! لا تسمحوا مطلقاً لأنفسكم بتصرفاتٍ وحركات عديمة الاحترام وغير لائقة لعمر الأطفال، ولا حتّى بفكاهات ودعابات أمامهم. فالذي يعتاد ويألف أن يتصرف تصرفات "تهريجية" أمام أولاده، ذاك لا يستطيع أن ينتظر احتراماً منهم، ولا حتّى أن يحتجّ على تصرفاتهم وسلوكهم غير اللائق

هذا لا يعني أن تكونوا صارمين وقساةً أمام أطفالكم؛ فالمرء يستطيع أن يفصل بسهولة الوقار واللطافة والفكاهات الحذرة عن الهزل والدعابات غير المناسبة التي تقال أمامهم؛ فالأب الرصين المحبّ والحنون، يكنُّ له أولاده احتراماً كبيراً، ونظرة منه تكفي لإطاعته مباشرة

هل تريدون أن يطيعكم أبناءكم؟ أفيضوهم محبةً. ليس فقط

المحبّة التي تتساهل أمام متطلباتهم وتليّن الطفل، بل المحبّة القلبيّة الواعية التي تهدف إلى خيره. فعندما يلمس الطفل هذه المحبّة يطيع لا من الخوف بل من الاحترام

لا تكونوا غير مبالين لفرح أو حزن الطفل، ولا تفكروا مطلقاً أنّ الأطفالَ عِبْءٌ عليكم وعذاب. لا تبيّنوا أنّ تضحية ما لأجلهم هي عبءٌ كبير وحِمْلٌ ثقيل

أعطوا أولادكم ما يحتاجونه في كلّ فرصّة مناسبة برغبة وفرح. فكيف يمكن للطفل أن يحبّ والديه إن كانوا يتذمرون دوماً لكي يعطوه حتّى قطعة صغيرة من الخبز؟

قدّموا لطفلكم من وقت إلى آخر ارتياحاً لتصرفاته وأفراحاً صغيرة لحسن سلوكه، كهديّة في أيام الأعياد أو في يوم عيد اسمه (معموديّته) فهي تقوّي المحبّة الطفوليّة

اجذبوا أطفالكم إليكم واخلقوا علاقات صراحة معهم؛ فالارتياب وفقدان الثقة تخنق المحبّة وتقتلها

لا تضيفوا إلى العقابات العادلة تلميحات تحقيريّة أو ملاحظات تجريحيّة. فمثل هذا التصرف يجعل القلب قاسياً ويواري كلّ أثر للمحبّة

أيّها الأهل! انظروا عميقاً في أنفسكم واتّعظوا من هذا ليكون أولادكم مطيعين. واعتادوا على الذي سمعتموه لأنّ فيه مشيئة الله.

واهتموا في الوقت نفسه ألاّ تتأصّل المزاجيّة في داخلهم، ولا تقبلوا عنادهم ولا وقاحتهم لأيٍّ كان. لا تعطوهم كلّ ما يطلبونه. أشعروهم بقيود شخصيّة كضبط النفس والتقشف

اطلبوا من أولادكم دوماً أن يفعلوا مباشرة ما قلتموه لهم وبكلّ دقّة. وأن يتمّ هذا بإصرار ولا تقولوه إلاّ مرة واحدة. ولكي يستطيع الأطفال أن يطيعوا لا تطلبوا منهم شيئاً خارج استطاعتهم وقدرتهم

لا تكونوا مزاجيين، ولا متسرعين في طلباتهم لكم، فتسمحون اليوم بما كان محظوراً عليهم في الأمس. لا تناقضوا تصرفاتكم فيما بينكم وبين الأطفال. اهتموا أن يبقى الاحترام قائماً في المستقبل، وابتعدوا قدر المستطاع عن كلّ ما يزعزع هذه الثقة

في النهاية، لا تنسوا مطلقاً أن تصلُّوا لتحلَّ بركة اللّه وتعملَ عملها في تنشئة أطفالكم. عندئذٍ ستُكَلّل الأتعابُ والجهاداتُ والاهتمامُ بالنجاح الكامل

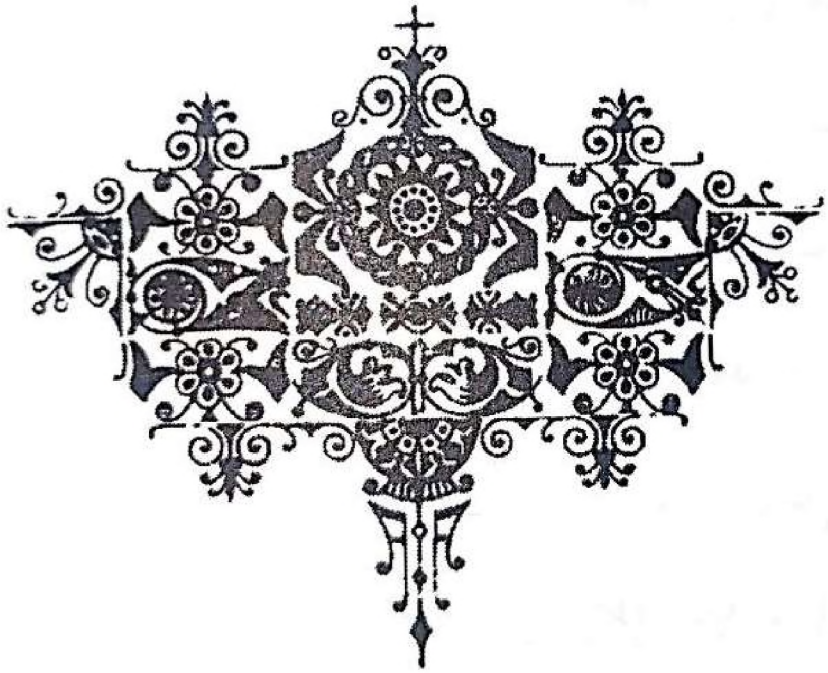

الفصل الرابع

بعيداً عن الكذب

1234-65 189
H. Kollwitz

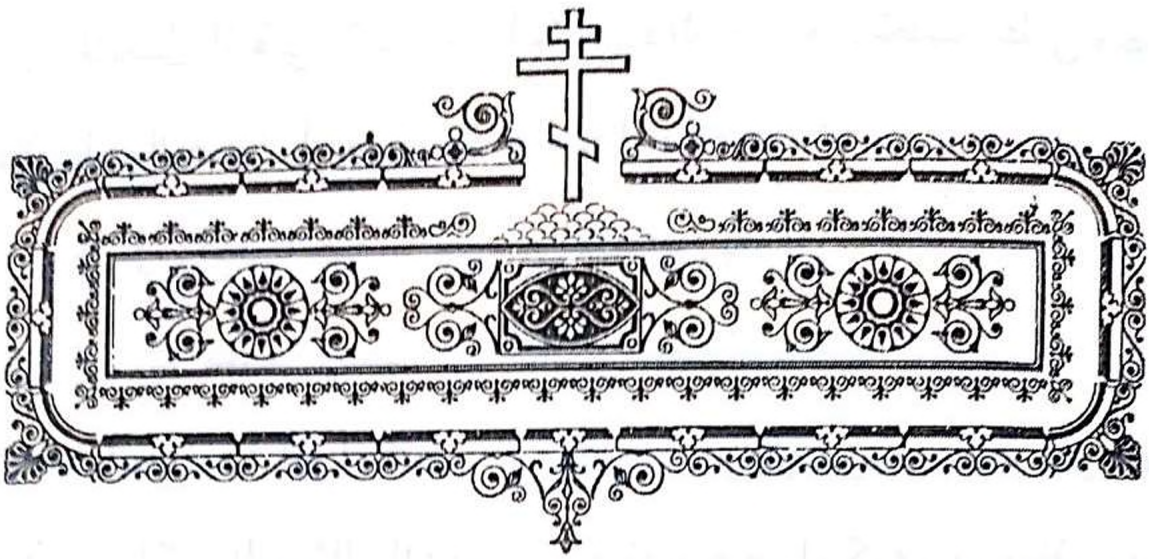

تحدَّثنا في المقطع السابق كيف يمكننا أن نزرعَ ونبذرَ الطّاعة عند الأطفال. وأشرنا بأساليب أساسيّةٍ كيف نستعملها لكي يألفوها. أمّا الآن سوف نتكلم كيف سنعوّد أطفالنا على حبّ الصدق وكيف سنعلّمهم أن يحبّوا الحقيقة ويبتعدوا عن الكذب

إنّ الحاجة إلى الحقيقة والمحبّة هي عناصر مغروسة في الإنسان وأيضاً في الطفل؛ فالخطيئة الجَديّة أضعفت وعكّرت شعور الحقيقة لكنّها لم توارِها بالكليّة، فبقي الميل لقول الصدق في الإنسان. هذا الميل يظهر في الطفل من خلال رغبته في معرفة كلّ شيء فالطفل يسأل عن كلّ شيء. وعندما يخبره شخصٌ أكبر منه عن أمر ما يعتبره حقيقة

الطفل النقي لا يعرف الكذب والتصنّع، وتظهر على وجهه علامات الخجل ليس فقط عندما يتفوه بأكاذيب عن طيش أو تسرع، بل وأيضاً عندما يسمع الآخرين يقولون الأكاذيب

إنّ اللّه نفسه وضع في الطفل محبّة الصدق، فعلينا نحن فقط أن نساعد هذا الميل الطبيعي كي ينمو ويتقوّى. هذا هو عمل الأهالي. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا، كيف سنظفر بهذا الشعور؟

الأمر الأول هو إرشاد الأطفال منذ الطفولة الأولى بحسب القوانين الثلاثة الأساسيَّة التالية:

١) أن تعلّموا أطفالكم محبّة الصدق، وأن يملكوا اللّه في فكرهم. وعلى الطفل أن يعرف أنّ اللّه وحده الصادق الأبدي والحقّ، وهو يريدنا أن نتكلم بالصدق دوماً. وعندئذٍ سيكره الطفل الكذب عندما يعرف أنّ اللّه يكره ويمقت كلّ كذبٍ. فالصادق فقط من يؤسِّس إيماناً ومحبّة باللّه، ويستطيع أن يحتمل كلّ تجربة

٢) أَلْبِسُوا الأطفالَ البساطةَ والصدق. آمنوا بأقوالهم إذا كنتم تعلمون أنّهم لا يكذبون. لا تسمحوا أن يُثبِتوا كلامهم بالقَسَمِ والحِلْفان. وإن كان لديكم أي سبب يقيني أنّكم شككتم بصدق أقوالهم لا تظهروا هذا من اللحظة الأولى بأنّكم لا تصدقونهم. حاولوا أن تتأكدوا إن تفوّه الطفل فعلاً بالأكاذيب، وإن حصل هذا،

ادعوه إلى قربكم وحدّقوا في عينيه بهيئة قاسية، لكن بمحبّة، وقولوا له التالي: "اللّه يريد أن تقول الحقيقة، فهو عارف بكلّ شيء، ويعرف أيضاً أسرار أفكارنا وينفر ويمقت شفاه الذين يتكلمون الكذب". وجه الطفل سيغدو محمّراً من الخجل، ويقول الحقيقة للحال ولن يعيد قول الأكاذيب مطلقاً

٣) أظهروا دوماً أمام أطفالكم أنّكم تحبّون وتحترمون الحقيقة، وكونوا صادقين ومستقيمين في كلّ علاقة وعمل لكم

وقبل كلّ شيء أكرموا الحقيقة الإلهية وبجّلوا الإيمان وناموس اللّه. ولا تظهروا مطلقاً عدم مبالاة أو استحقاراً للإيمان. لا تعطوا أدنى فرصة لأولادكم أن يسمعوا جملاً كالتي: "لا حاجة أن يؤمن المرء باللّه، يكفي أن يكون الإنسان شريفاً". مثل هذه الجمل للأسف، يسمعها الأولاد دوماً، يرسمها لهم الروح الكذّاب أيّ الروح الشرير. إن كنتم أنتم تقولون مثل هذه الأقوال الكاذبة أمام أولادكم فلستم تقتلعون فقط من قلوبهم احترام ومحبة الحقيقة في إيماننا، بل تقتلعون من داخلهم كلّ شعور للحقيقة

إذا لاحظ الأولاد أنّكم تواجهون حقائق الإيمان المسيحي وقوانين الكنيسة بطيش واضح، وتتكلفون ظاهرياً بمواضيع الحياة المسيحية. فكيف يمكنكم أن تأملوا منهم أن يصدقوا أقوالكم؟ سوف لن تنالوا منهم الصدق الذي تريدونه

كونـوا لأولادكـم إذاً نمـاذج محبـةٍ تجـاه الإيمـان والحقيقـة المسيحيّة، وانشروا هذه المحبّة فيهم وبهذا يحبّون الصدق

كونوا صـادقين في كلّ الأمـور، لتحفظوا أنفسكم من الكذب والتكلّف. ولا تهزؤوا بـالآخرين بطريقـة أو بـأخرى ولا تتصنعوا في علاقاتكم الاجتماعية، كأن تقوموا بعملٍ مـا أمـام صـديق البيت ثمّ بغيابه تسخرون منه وتستغيبونه. بل كونوا بشخصيّة واحدة أمام أولادكم وبعلاقاتكم مع الآخرين وأظهروها لهم بنفس الطريقة حتى في وقت غيابهم

إن أردتم أن يتحلّـى أولادكـم بالـصدق والاسـتقامة، حـاولوا أنتم أولاً في مواضيع الإيمان وكلّ التصرفات الأخرى أن تطرحوا عـنكم المـراءاة والكـذب والـدهاء والتملّـق وسـوء النيّـة، وكونـوا واضحين في كلّ شيء وصادقين ومؤمنين ومخلصين في علاقاتكم

ازرعوا في قلوب الأطفال الاحترام والمحبّة والصدق من جهة، وحاربوا من جهة أخرى وبكلّ جوارحكم الكذبَ والنفّاقَ. علّموا أولادكم منذ الطفولة أن يكرهوا الكذب لأنّ اللّه صادقٌ أمين وكلّ كذبة عنده خطيئة. على الأطفال أن يبتعدوا عن الكذب ليس لأنّهم سيعاقبون بل لأنهم يعرفون أنّ اللّه يمقته

علّموا الأطفال كلام الكتاب المقدّس بأنّ الكذب ممقوت في أعين اللّه الصادق الحق. "**الكذب عارٌ قبيحٌ في الإنسان وهو لا**

يزال في أفواه فاقدي الأدب" (حكمة سيراخ ٢٠:٢٦)

علّموهم أنّ الكذب من اختراع الشيطان لهذا السبب لقبّه السيّد المسيح "بالشيطان" وبأنّه "الكذاب وأبو الكذاب" (يوحنا ٨:٤٤). وبناءً عليه فالأطفال الذين يتفوهون بالكذب يتشبّهونَ بالشيطان ويصيرون مثله

لا تتهاونْ على الأطفال ولو بكذبة صغيرة. فإذا ارتكب الطفل زلة ما حتى وإن كانت صغيرة عليه أن يعترف بها فوراً. سامِحْهُ إن كانت المرة الأولى، وإن تكررت فعاقبْه بخفّةٍ ولطفٍ واشرح له أنّك سامحته لأنّه اعترف بالحقيقة. لكن هذا لا يتمّ دوماً فإن سامحت الطفل كلّ مرة وأنقصت العقاب باعترافه عندها من الممكن أن ينتج أمران سيئان: سيبدأ الطفل بعدم إعطاء أهمية لزّلاته، وأيضاً سيعتاد على قول الحقيقة فقط عندما يستشف منفعة ما منها، بينما على العكس لن يتردد أن يخفي الصدق عندما يُتَّهم بأنّه لا يعترف بالحقّ.فإن عمل الطفل شيئاً سيئاً وقال الأكاذيب علينا أن نعاقبه مضاعفاً - طالما أنّنا شرحنا له - مساوئ الزلّة والكذب

وإنْ وشى الطفل بداعي الشرّ أو حباً بالانتقام، عندئذٍ يجب ألاّ يعاقب بقسوة فقط بل أن يُجبَر على إلغاء النميمة أمام الجميع وكل الذين سمعوه. هذا ما يتطلبه الخلق المسيحي الأرثوذكسي

لا تخدعوا الأطفال مطلقاً ولا تسمحوا للآخرين بذلك. فغالباً يَعِدُ الأهل بأشياء للطفل كي يهدأ ولا يتذمّر لكنهم لا ينجزونها له. كم هذا مؤذٍ! فالطفل سريعاً سيدرك ويفهم أنّه كان مخدوعاً، ويتزعزع إيمانه بأقوال أهله ويضعف شعور الصدق عنده

لا تجبروا أطفالكم - طوعاً أو اختياراً - أن يتفوّهوا بالأكاذيب. وهذا سيحدث بعدها دون إجبار. أمَّا أنتم على سبيل المثال تصرخون على الطفل وتندفعون نحوه منزعجين جاهزين لمعاقبته بقسوة ورافعين يدكم في وجهه: "أنت مَن فعل هذا؟، الآن سترى!". فلماذا تتعجبون عند قوله أكاذيب، لأنّ الأكاذيب ستخلصه من أيديكم

أمَّا ماذا سنقول لأولئك الأهالي الذين يبتسمون ويفتخرون بـ "نباهة" الأكاذيب التي قالها أولادهم؟. وما هو الانطباع الذي نأخذه عن الأهل الذين يحرضّون أطفالهم ويعلّمونهم كيف يخدعون الأستاذ والآخرين ليخرجوا من المواقف الصعبة التي يتعرضون لها ويهربون من العقاب؟. مثل هؤلاء هم مفسدون لأولادهم. فهل نحتار إذاً بعد هذا، إن نطق الأولاد بالأكاذيب أو أخذوا يلعنون ويسرقون وإلى ما هنالك من السيئات

فلتتذكّر جيداً، أنّ مَن لا يعتبر الكذب خطيئة فهو قادرٌ أن يسرق ويخدع أيضاً، وأقواله مغرّرة كما هي أفعاله

ها قد رأيتم أيّها الأهل كيف تبذرون في أطفالكم الاحترام ومحبّة الصدق بالتربية، وتجعلونهم يكرهون الكذب كرهاً عميقاً.
تذكّروا الطرق التي قدَّمناها دوماً وطبّقوها بضميرٍ حيّ

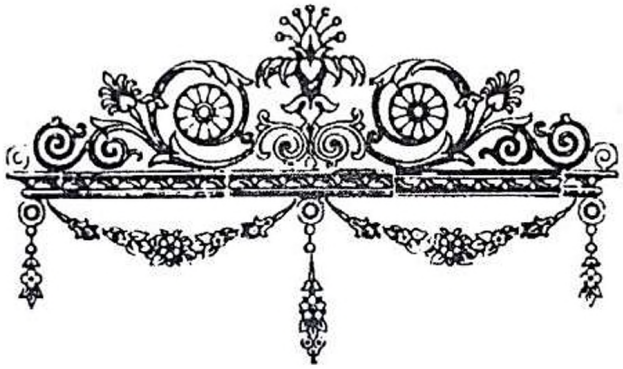

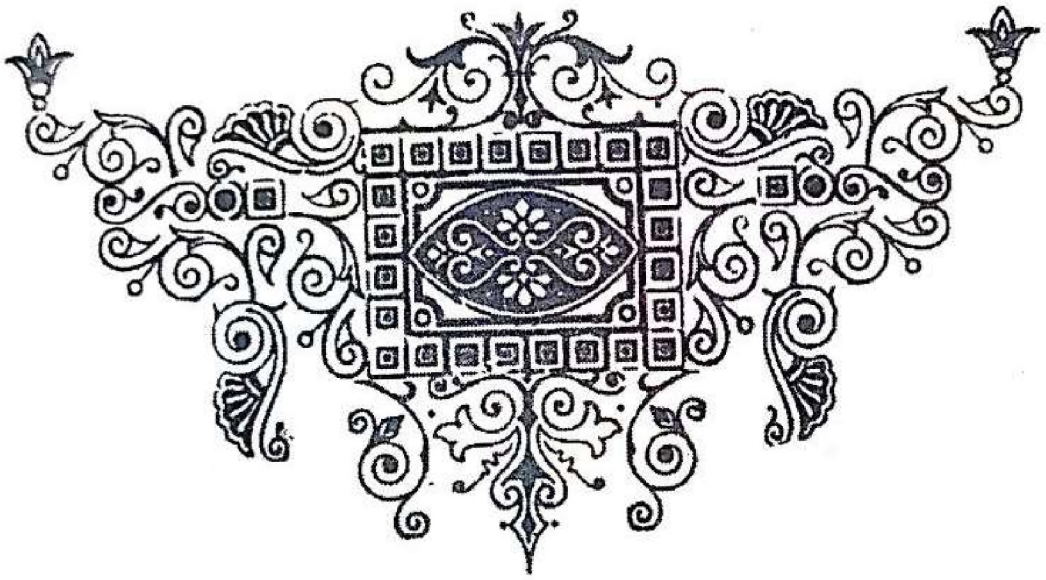

الفصل الخامس

إعصار اللذّات الشهوانيّة

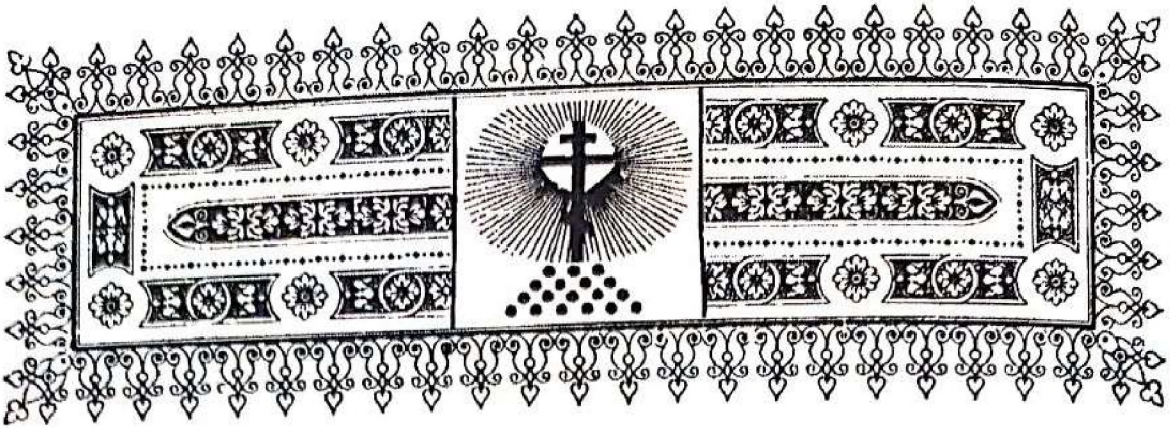

مَن منّا لا يعرف الرياحَ الجنوبيّةَ الغربيّةَ، هذه الرياح تكون ساخنةً بشكل لا يُحتَمل. فحيث تهبّ تُميتُ كلَّ نباتات الحقول والحدائق، أمّا الشوك القاسي الكبير فلا يموت مطلقاً

هذه الرياح لا تؤذي إلاّ النباتات المفيدة التي تُستَعمل ثمارُها لتغذية الإنسان والحيوان

هذه الرياح القاتلة والمخرِّبة تشبه إلى حدٍّ كبير ميولَ واتجاهاتِ عصرنا الحالي؛ فحيث تهبّ تخفي ثمار الفضيلة من حياة الإنسان. وهذه الميول هي اللذات والأهواء الجسدانية

هذا هو شرّ عصرنا الأعظم؛ فهي تفكك شمْلَ العائلات وتعرّض النساء والرجال للخطر، وتقود الشباب للانحدار والسقوط، وتنفث سمومَها في نفوسِ الأطفال الصغار، ويبدو أنّه لا

شيء يستطيع إيقاف تأثير أضرارها!

لهذا لدينا واجب مهمٌ وهو تنبيه الأهل، لأنّه بالاهتمام والحرص تستطيعون أن تحفظوا أولادكم من هذه العدوى المهدّمة

الإنسانُ جِبْلَةُ الخالقِ بامتياز! ونفسُه لها خِتْمُ اللّه، وجسدهُ أسمى من عالم الحيوان. وبحسب تهيئة اللّه للإنسان من بدء الخلق، على النفس أن تحكم الجسد. وعندما كانت نفس الإنسان تطيع اللّه كان الجسد مطواعاً للنفس من دون أن يثقلها أو يعرضها للتجارب. لكن السقوط أورد أموراً أخرى، فتمردت نفس الإنسان على اللّه وهكذا اهتاج جسده وتمرد أيضاً على الروح ضدّ النفس

وكنتيجة للعقاب العادل بدأ ميل المشاعر نحو الشرّ واللذات الجسدانية يمارس طغياناً على المساعي الروحية لدى الإنسان متطلبة الخضوع الكامل والعبودية لها. وهكذا ظهر لدى الإنسان الميلُ للقيام بكلّ ما يرضي حواسه فصار بذلك جسدانيّاً

إنّ كُنْهَ الشهوات والملذات الجسدانيّة في هذا هو أن تخضع النفس للملذات وتباشر الملذات بالتسلط على الإنسان فتفسده وتعميه بحيث لا يمكنه التفكير باللّه والإيمان به وبوصاياه ومشيئته. وهكذا تَقتُلُ في النهاية كلّ طهارة وألوهة وقداسة في الإنسان

هذا الشعور هو شرّ كبير، بل تخريبٌ للإنسان؛ فإن كانت الشجرة تُعرَف من ثمارها، فنقول إنّ هذا الشعور شجرة سامّة تعطي ثماراً مخيفة

أولى ثمارها القبيحة هي الكسل أو الخمول وتحاشي كلّ تعب أو خير يتطلّب محاولة أو جهداً ما، فالإنسان الشهواني هو إنسان مُترَفٌ لا يعرف مطلقاً الرضى الذي يمنحه التعب الخلاّق؛ فالتعب بالنسبة له نيرٌ وعبءٌ ولعنةٌ وليس واسطةً لاكتساب واغتصاب الفضيلة ولا واجباً مهمّاً وجادّاً مفروضاً من اللّه

يخاف الإنسان الشهواني من التعب الجسدي لأنّه يصير سبباً ليقلق تَرَفَهُ ويخاف أيضاً التعب الذهني لأنّه يسبب إنعاشاً للقوى الروحية

قد يصادف أن تعرفوا من الآخرين قولهم عن أحدهم: "هذا الإنسان يستطيع أن يفعل الكثير، لكنّه لا يفعل شيئاً!" فما هو السبب الدائم لهذا؟

إنّ حبّ الملذات يجعل الإنسان خمولاً كسولاً، بينما كانت لديه منزلة رفيعة في السابق، أمّا الآن فتراه يقاسي الفقر والحرمان بينما كان سينعم بلا شكّ بسعادة كبرى

الشيء نفسه يحدث أيضاً مع الفعل الروحي. هذا الأمر يصادفه المرء في المدرسة مرات عديدة؛ يقابل الشخص هناك

أطفالاً يتعلمون الأبجديّة ويلعبون ولكن بميولهم ومواهبهم المتنوعة ينتظر المرء منهم أن يصيروا أناساً مهمين في المستقبل. ولكن هؤلاء الأطفال ليسَ لديهم أيّ استعداد للتغير، لماذا؟ لأنّهم كبروا وصاروا كسولين خمولين ودفنوا مواهبهم في الأرض بدلاً من أن يضاعفوها بالمحاولة الثابتة الملحّة. فهؤلاء الناس غير جديرين بالنجاحات الباهرة وسيّما اقتناء الفضيلة

المواد الجيّدة التي ارتشفها مستنقع الشهوات ليست بقليلة؛ فكم من الناس لديهم من اللّه الميلَ والاستعدادَ ليصيروا نموذجاً في الفضيلة والأخلاق، لكنّهم فقدوها لأنّهم انجرفوا بتلبية الرغبات الجسديّة. وهكذا انغمس ميل الفضيلة في مياه مستنقع الكسل والخمول!. [هذا يشبه ذاك الذي رفض عشاء سيّده وتحجّج بأزواج البقر التي عنده والتي ليست إلاّ حواسه الخمس المنغمسة في ملذات الحياة وأمورها. "**إنسانٌ صَنَعَ عشاءً عظيماً ودعا كثيرين، وأرسل عبدَه في ساعة العشاء ليقول للمدعوين: تعالوا، فقد أُعِدَّ العشاء. فجعلوا كلُّهم يعتذرون الواحد بعد الآخر... وقال أحدهم: اشتريتُ خمسة أزواج بقرٍ وأنا ماضٍ لأمتحنها أسألُك أنْ تعذرني....**" (لوقا١٤:١٩)]*

---

*- المعرِّب

إنّ الشراهة والثمل هي ثاني ثمار اللذات الجسدانيّة. وينطبق المثل الروسي الشعبي على كلامنا: "إنّ أفضل الناس قد غرق في كأس فودكا بدلاً من نهر فولكا". لن نتحدّث هنا عمّا يجلبه السُّكْرُ للبشر من بؤس وتدمير وكوارث؛ فالمرء يستطيع أن يرى هذا عند المعارف والجيران والأقارب، ومحبّ اللذات يدنّس الجبلة التي هي "على صورة اللّه"، وأتجاسر بالقول: "يفقد أقنومه الإنساني"

أمَّا ثمرة اللذة الثالثة فهي الفجور. فإن تواجد فوق الأرض شيء رائعٌ سماويٌ، فهذا هو بالضبط براءة الأطفال والشباب. وعلى العكس إن كان هناك شيء قبيح ومقزز فيعود إلى النفس الفاسقة. لن نتحدث الآن عن ثمار هذه الشهوات، فالكلّ يعرف أنّها تقود ضحاياها إلى الخلاعة والفجور

ستتساءلون كيف يمكننا أن نمنع هذا التأثير عن الأطفال؟

علّموا أولادكم قبل كلّ شيء أن يعملوا، ويجب أن تلهموهم دوماً على احترام التعب الثمين، وليكن في أذهانهم دوماً قول الرسول: "إنْ كان أحدٌ لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً" (٢تسالونيكي ٣:١٠). ولتعلّموهم كيف أنّ العمل لا خجل فيه، بل على العكس خجل الإنسان هو الكسل والبطالة. قدّموا لهم مثالاً على ذلك الرب يسوع الذي كان يساعد أمّه العذراء مريم وحاميها القدّيس الشيخ يوسف الصدّيق. اجعلوا أولادكم يعتادون على

التعب الجسدي وإن لم يكن هناك حاجة ليأكلوا خبزهم من تعب أيديهم. في القديم كان كثير من أعضاء عائلات الملوك متمثلين بالتقاليد والأعراف وهم مجبرون أن يتعلّموا شيئاً يدوياً يعملون به

إنّ الرسول بولس مختار اللّه ومبشّر الإيمان الأعظم لم يخجل عندما كان يمارس مهنة حياكة الخيَم التي كان قد تعلّمها في طفوليته المبكّرة. علّموا أولادكم بهذا ولا تسمحوا مطلقاً بالكسل الذي هو بدءُ بل أمُّ كلّ الشرور

اجعلوا أولادكم يعتادون الغذاء البسيط وبأوقات طعام محدّدة. وألاّ يلتهموا الحلويات في أيّة ساعة يشاؤون، بل أن يكتفوا بما يتواجد على مائدة الطعام. علّموهم أن يأكلوا كلّ ما وضعوه في صحنهم على المائدة وأن يشكروا اللّه على ما يتناولوه من الطعام. ساعدوهم أن يدركوا أنّ الإنسان لا يعيشُ ليأكلَ بل يأكلُ كي يعيشَ!

حافظوا قدر استطاعتكم ألاّ يتناول أولادكم أيّ شراب مُسْكِرٍ؛ فالمشروبات الصحيّة للأطفال هي: الماء والحليب وعصير الفواكه. فكم من شرٍّ عظيم، طبيعي أو أخلاقي، يسببه الأهل للأطفال عندما يعودونهم أن يشربوا النبيذ أو أيّ شيء نظيره!

وفي النهاية، احفروا عميقاً في قلوبهم أقوال الرب: "**طُوبى لأنقياءِ القُلُوب**" (متّى ٥:٨)، واهتمُّوا بهذه الأقوال لتستطيعوا أن

ترددوها باستمرار أمام أطفالكم

كيف ستنجحون في هذا؟. قبل كلّ شيء صونوا في قلوبكم حياءَ الطفل الطبيعي. إنّ اللّه نفسه يخففّ من تعبكم. وقد وهبكم الطفل نقياً وأعطاكم الملاك الحارس معيناً لطهارته، وزرع اللّه الوقارَ في نفس الطفل، فما على الأهل إلاّ أن يعملوا ما يفيده ليكبر ويحفظ ما أودعه اللّه في نفسه الطفوليّة. وهناك وفي حالات عديدة تُدمَّر براءة وطهارة الأطفال هذه، وهنا نقول لهم بلسان السيّد صديق الأطفال: "**أمَّا الذي يكون حجرَ عثرةٍ لأحد هؤلاء الصِّغار المؤمنين بي فأَولى به أن تُعلَّق الرحى في عنقه ويُلقى في عرض البحر**" (متّى ١٨:٦). ومن المهم والضروري أن يكون لدى الأهلِ الطهارة ونقاء القلب كي تنعكسَ على الأبناء. وكما هو معروف إنّ الأهواء تحوّل الآباء إلى أطفال، وهذه الأهواء والزلات التي يقوم بها الأهل تظهر مبكراً عند الأطفال

وعلى الأهل أن يراقبوا كلامهم وتصرفاتهم، فكم هو سيءٌ إثارة مجادلة غير هادفة أو حركة غافلة أمام الأطفال!

انتبهوا إلى الكتب والمجّلات الدوريّة، واللوحات والتماثيل والصور الموجودة في غرفكم من باب الصدفة إن كان فيها معثرة لهم. وتأمّلوا كيف أنّ الأطفال سيُمعِنون النظر فيها كلّ يوم، وعندما يكبرون ويبدؤون بالتفكير سيتحدّثون عنها، فماذا ستكون

النتيجة؟...

لا تقولوا مطلقاً إنّ أولادكم لن يفهموا هذا، ولا يشك أحدكم أنّ الطفل ليس لديه حبّ الفضول، ولا بدّ من وجود شخص يلبي له هذا الفضول. فأنتم كمسيحيين يجب أن تهتموا ألاّ يسمع الأولاد منكم ولا يشاهدوا أمراً مخالفاً للوقار والحشمة. أمّا فضولهم فسوف تشبعونه في الوقت المناسب بحكمة، وأنتم من سيفعل ذلك في حينه

لا تسمحوا أن يظهروا عراةً أمام الآخرين وألاّ يلبسوا أو يخلعوا ثيابهم أمام أحد. لا تضحكوا عالياً على طفلكم عندما يعبّر عن شعوره بالخجل، بل على العكس امدحوه على هذا، واشعروا بجميل اللّه الذي منحكم طفلاً رائعاً كهذا

انتبهوا لكلّ مظهرٍ لائقٍ لطفلكم عندما يقف أو يجلس ويمشي، ولكلّ كلمة أو حركة تصدرُ منه وأصلحوها دون تأخير، بالكلام أولاً: "هذا عيب، ملاكك الحارس سيراها وسيحزن كثيراً!". إن لم يساعده هذا عندئذٍ الحالة الثانية أن تختار له عقاباً مناسباً دون أيّ كلام

انتبهوا ألاّ تتصادقوا مع إنسان فاسد يجرف أولادكم إلى أعمال بذيئة، ولا تعتبروا أن هذه النصيحة غير ضرورية؛ فلسوء الحظ أنّ أولاد عصرنا يقعون في مثل هذه الزلات الصغيرة

فتصبح الكبيرة لا تذكر ولا تعني لهم شيئاً

تابعوا أولادكم في أسرّتهم وفي ألعابهم دون أن يشعروا بذلك. ولا تسمحوا للأطفال من جنسين مختلفين أن يبقوا لوحدهم في الغرف. تابعوا صداقات ومعارف أطفالكم ولا تسمحوا لهم أن يرافقوا أطفالاً وقحين ولا يستجيبون لنصائح الكبار

انتبهوا لمستخدميكم وموظفيكم والعاملين عندكم لأنّ لهؤلاء تأثيراً كبيراً على أخلاقيّة الأولاد، فهم كالمجرِّب يزرعون مرات بذور الفساد في النفس الطفوليّة ويعلّمون الطفل أشياء يفسدونه بها

لا تتهاونوا أيضاً في الصلاة لأجل نقاء أطفالكم، وصلّوا صلوات حارة للفائقة القداسة العذراء مريم، وإلى الملاك الحارس ليتعهَّدوا الطفل بحمايتهم

أيُّها الآباء، أيَّتها الأمّهات، أُجمِلُ القولَ ثانية: لا تنسوا ما قاله السيِّد صديق الأطفال العظيم: "**طُوبى لأنقياءِ القلوب فإنَّهم يعاينون اللَّه**" (متّى ٥:٨)

فإنْ لم يكن لدى أطفالكم القلب النقي لن يعاينوا اللَّه! وإنْ حدث هذا فبرجائكم والتماسكم أنتم أيضاً ستعاينون اللَّه الذي سيطلب من أيديكم نفوس أولادكم!

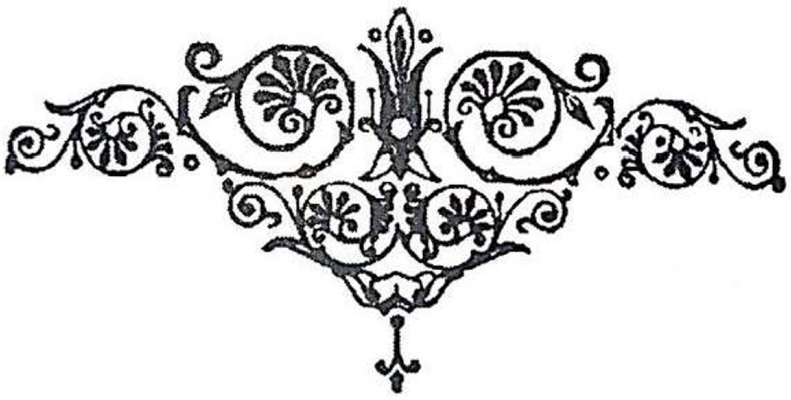

الفصل السادس

بذور الشر

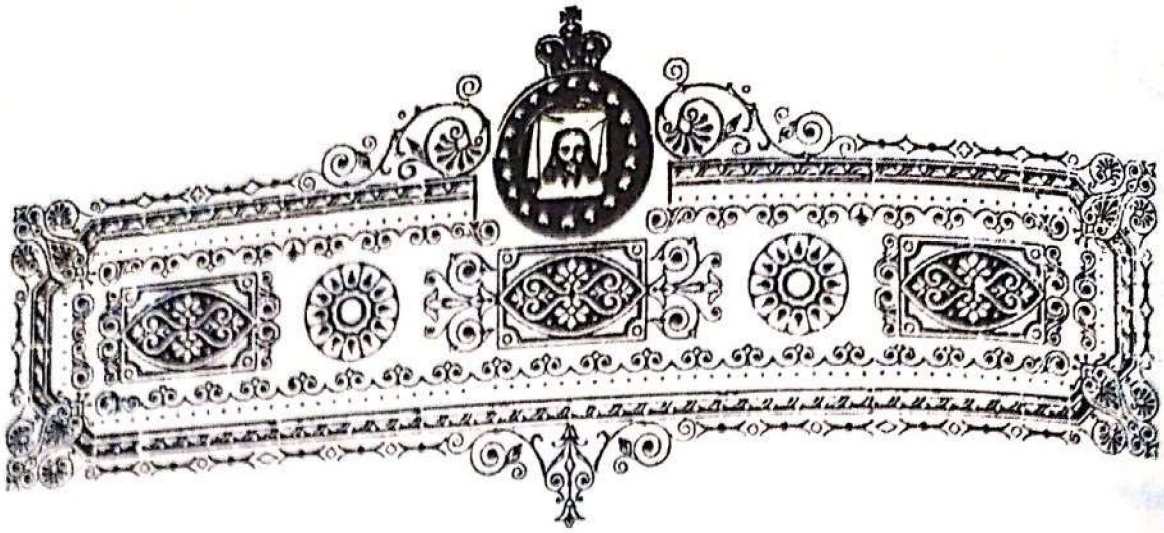

تحدّثنا في المقاطع السابقة عن الطاعة وحبّ الصدق وعن الاحتشام والوقار كفضائل على الأهل أن يزرعوها في قلوب الأطفال باهتمامٍ خاص جداً في عمر الطفولة

فيا أيّها الأهل الأحبّاء، لا يكفي فقط أن تزرعوا في نفوس أولادكم بذور الصلاح والخير بل أن تحاربوا وتقتلعوا الشرَّ أيضاً في الوقت نفسه. وعليكم قبل هذا أن تحاربوا عيب طفلكم الأساسيّ وأن تجتثُّوا من كلّ طفل لديكم عيوبه الخاصّة الأساسيّة

فإن كان لديكم عشرة أطفال ولكلٍّ واحدٍ منهم عيبُه الخاصُّ؛ فمثلاً أحدهم عنده مجدٌ باطل وأنانيّة وبخل، والآخر لديه حبٌّ

الطمع والمال، والثالث الترف وحبّ اللّذات، والرابع غيورٌ ويفرح بأذيّة الآخرين، والأخير كسولٌ وخمول... الخ

قد تتساءلون لماذا يجب أن نقتلع هذا العيب الأساسي من نفس الطفل أولاً؟

الجميع يعرف قصّة "جولياث". فعندما كان الفلسطينيُّون يحاربون الإسرائيليِّين، وجيش الخصم قد اصطفَّ الواحد قبالة الآخر استعداداً للحرب، في تلك اللحظة امتثل أحد الفلسطينيِّين وكان هائل الجسم ويدعى "جولياث" وأخذ يثير الإسرائيليِّين ويستهزئ بهم وبإلههم ويدعو بوقاحة أيّاً كان ليحاربه. لم يتجاسر أحدٌ أن يقيس نفسه بهامته المخيفة إلى أن ظهر راعٍ شاب هو داوود، وبإيمان ومساعدة اللّه رماه على الأرض وأماته بحجرة صغيرة. وعندما رأى الفلسطينيّون أنّ بطلهم الشجاع قُتِلَ تراجعوا خجلين منهزمين

إذا نقلنا هذه الرواية إلى حديثنا، فمِن بين الرذائل المختلفة للطفل هناك "جولياث" ما، وهو أيّة رذيلة وضعف أساسي عنده. وهذا عليكم أن تحاربوه لأنّكم إن أبدتم هذه الرذيلة - جولياث -، عندئذٍ جيشه سيفنى - الخطايا والزلاّت - وتنتصرون. وبكلام بسيط: حاولوا اجتثاث ضعف طفلكم الرئيسي، والرذائل الباقية ستبتعد من تلقاء نفسِها

أتريدون أن لا ينبت الزؤان والشوك في حديقتكم؟... أتلفوا جذورها إذاً وسترون أنَّ الأزهار ستذبل وتصفّر الأوراق وتسقط. وهذا ما يحدث مع النفس الطفوليّة. فالرذيلة الأساسيّة هي الجذر الذي تنشأ منه الرذائل والعيوب الأخرى، فإن أتلفتم جذر العيب هذا فستذبل وتسقط العيوب الباقية

من يُرد أن يجفّف جدولاً ما عليه أن يسدّ نبعه. فالعيب الأساسي "الخطيئة المحبّبة" للطفل هو فعلاً ذاك النبع الذي منه تتحرك سيول الخطيئة. فإنْ أنت ردمت النبع ستفقد الخطيئة قدرتها

شدّدنا كثيراً على أنّ التربية تبدأ في سنِّ الطفولة وهذا يقوّي التربية وخاصّة لصدّ العيب الأساسي عند الطفل. ولدينا هنا قانون مهم جداً: "اعرف باكراً جداً على قدر استطاعتك رذيلة وعيب طفلك الرئيسي لأنَّك إن تأخرت سيصير الميل شديداً وعميقاً، ويصعب عليك فيما بعد تذليله أو اجتثاثه"

يكتب أحد الآباء الإنجيليين عن الأب الذي قدّم ابنه المجنون إلى السيّد الرب يسوع لأنّ الرسل لم يتمكنوا من أن يخرجوا الشيطان منه. فلماذا لم يتمكنوا منه يا ترى؟ هذا ما نراه في حوار الأب المتألّم مع الربّ يسوع الذي سأل: "**منذ كم يحدث له هذا؟**"، "**منذ طفولته**" أجاب الأب. (مرقس ٩:٢١)

إذاً هذا هو السبب، فالشيطان حصل على هذه القدرة على الطفل التعيس: "لأنَّه لم يُطرد منه باكراً"

الأمر نفسه يحدث عندما يقيم في طفلكم شيطانُ المجدِ الباطل والكسل والترف...الخ. فإن لم تجاهدوا قدر استطاعتكم والطفل صغير ضدّها فإن الشيطان سيقتني السلطة باكراً جداً. وهذا أمرٌ تصعب ملاحظته، وأحياناً تستحيل. فقط بأعجوبةٍ وبمحبّة اللّه نستطيع أن نترجّى ذلك

هل يا ترى سيكون لديكم الجرأة إلى الربّ أن تترجّوا مثل هذه الأعجوبة؟

فإن كان لا، فاهتموا إذاً وكرّسوا جهودكم مبكّرين كي تطردوا من قلب الطفل شيطان العيب الأساسي

ستتساءلون: كيف يمكننا هذا؟

حاولوا أن تعرفوا ما هي عيوبكم ورذائلكم أنتم أولاً، وحاربوها بقوّة وصبر. فمن يعرفْ نفسه جيداً لن يصعبَ عليه أن يعرف الآخر أيضاً

هذا يُطبَّق بشكل فريد على الأهل، فإنْ عرف الآباء والأمّهات قدراتهم ورذائلهم الأساسيّة فمِن غير تعبٍ سيتمكّنون أن يميّزوا قدرات وعيوب أولادهم. لأنّ الأطفال يرثون دوماً ميول الأهل السيئة، وأحياناً كثيرة يكون لدى

الأطفال عيوب الأهل نفسها

لكن ليس من السهل مطلقاً أن يحظى الأهل بمثل هذه المعرفة والدراية، بل يحتاجون إلى قوّة ملاحظة كبيرة وفنّ، وإلى تواضع كبير، وأكثر من هذا كلّه إلى مساعدة نعمة اللّه لهم!

فإنْ أردتم إذاً أن تكتسبوا هذه المعرفة عليكم أن تتابعوا أنفسكم بصلاة خاصّة فريدة، وتتابعوا ميل واتجاهات قلوبكم. وادعوا اللّه دوماً بنفوسٍ حارّة أن ينيركم لتعرفوا أنفسكم جيداً. افحصوا ضمائركم كلّ يوم وازرعوا فيكم أصول التقوى، لأنّ الإنسان التقيَّ الحقيقيَّ في منزلة مَن يعرف نفسه ويضيّق على هواه ويحاربه*

وأيضاً، أيّها الآباء، إن لم تعرفوا أنفسكم جيداً فقد تنقصكم التقوى الحقيقية، ولهذا لا ترى زلاتك الأساسية لكنّك تميّز بشكل أفضل زلاتِ امرأتكَ - أو زوجكِ! وهل هذا يساعدك في محاولة اكتشاف رذائل طفلك الأساسية؟

انتبه إذاً أيُّها الأب ربما تتأكّد أنّ في ابنتك ضعف زوجتك

---

*- في المحاولة لصدّ ومحاربة الرذائل والأهواء -أهالٍ وأطفال- تحتاجون لمعاونة مرشدٍ روحي خبير كما يؤكّد هذا التقليد الأرثوذكسي. ويكتب البارّ يوحنا السلمي عن الحاجة إلى مرشد روحي: "فالذين يتّكلون على أنفسهم ويتوهمون أنّهم لا يحتاجون إلى مرشد يرشدهم (في جهادهم ضدّ الأهواء) هم مخدوعون" (السُلّمي ١:٧)

غير المرغوب بها عندك، وأنت أيّتها الأمّ انتبهي ربما يكون لولدك (حبيبك) ميول أبيه السيئة التي تميّزينها في زوجك، والتي تُسقَى بمرارة كبيرة!

اسمعوا بانتباه لما يقوله الناس الآخرون عن أولادكم. فالغرباء يرون عادة زلاتهم أفضل منكم بكثير. فهم يدركون جيداً محبّة الأهل المَرَضِيّة وغير الطبيعيّة. فلا تغضبوا إن أشار إليكم الكاهن أو المرشد أن سلوكهم غير حسن، بل على العكس، اشكروهم لأنّ ما أظهروه لكم مفيدٌ للغاية

أحبّوا أطفالكم محبّةً مسيحيّةً عاقلةً؛ فالمحبّة غير الطبيعية التي عند الأهل لأولادهم للأسف تصير سبباً لعدم إعطاء أهمية لعيوبهم الأساسية. فهم ينظرون إلى "بذور" حسناتهم فقط ويسامحون عبثهم ويعتبرونه فضائل أو "يقظة"

تابعوا أولادكم بانتباه، وخاصّة عندما لا يشكّون أن أحداً ينتبه لهم أو إلى ألعابهم مثلاً. عندئذٍ من البديهي أن تظهر شخصيتهم الحقيقية وتبدو بشكل أفضل في كلّ مَيْلٍ سَيِّء كان أو حسن

قد عرفتم الآن لمَ تتطلّب التربية السليمة اهتماماً باقتلاع رذائل طفلكم الأساسيّة. وقد تحدثنا كيف يمكنكم أن تحظوا بها، وكيف لا يمكنكم أن تُبعدوا الضعفات الأخرى إن لم تقتلعوا هذه

الرذائل والعيوب الأساسية. وتحدثنا أيضاً كيف نكشف هذه الرذائل - (جولياث)

تابعوا ما أشرنا إليه قبلاً بقدر استطاعتكم، وحاولوا أن تعرفوا ضعفات أولادكم وتصلحوها بكافّة الوسائل الممكنة

اسمعوا بانتباه لما يقوله الآخرون عن أولادكم ولا تنزعجوا أو تضطربوا عندما تسمعون عنهم ما يسيء. أحبّوا أطفالكم محبّةً مسيحيّة واعية واحفظوهم بعين ساهرة. وهكذا عندما تميّزون زلّة - جولياث - طفلكم اضربوها بحكمة ومهارة ولكن بإيمان وبمعونة اللّه، ولا تتوقفوا عن محاربتها إلى أن تقتلعوها

إن ردمتم جذر الخطيئة فإنّكم تدريجياً ستخنقون الزؤان في حديقة قلب أطفالكم. وتأكدوا أن نظرة اللّه الساهرة واليقظة وملائكتة القدّيسين سيحفظونهم ويحمونهم دوماً

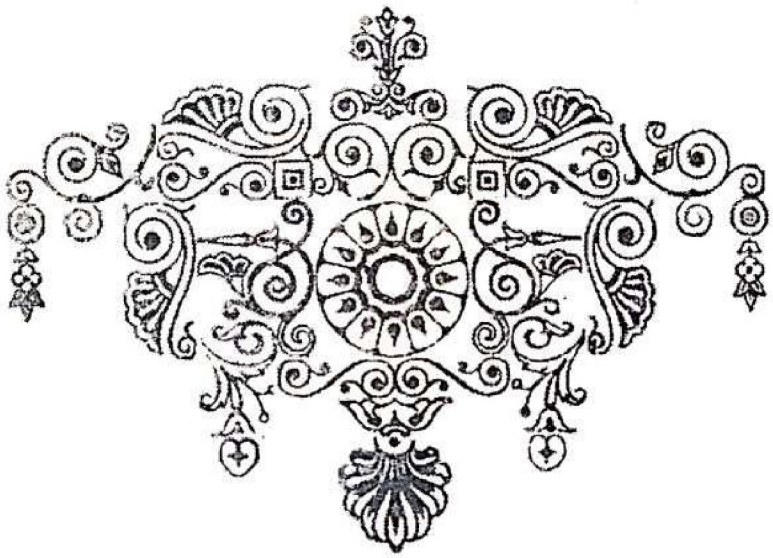

الفصل السابع

التخلُّص من الأنانيّة

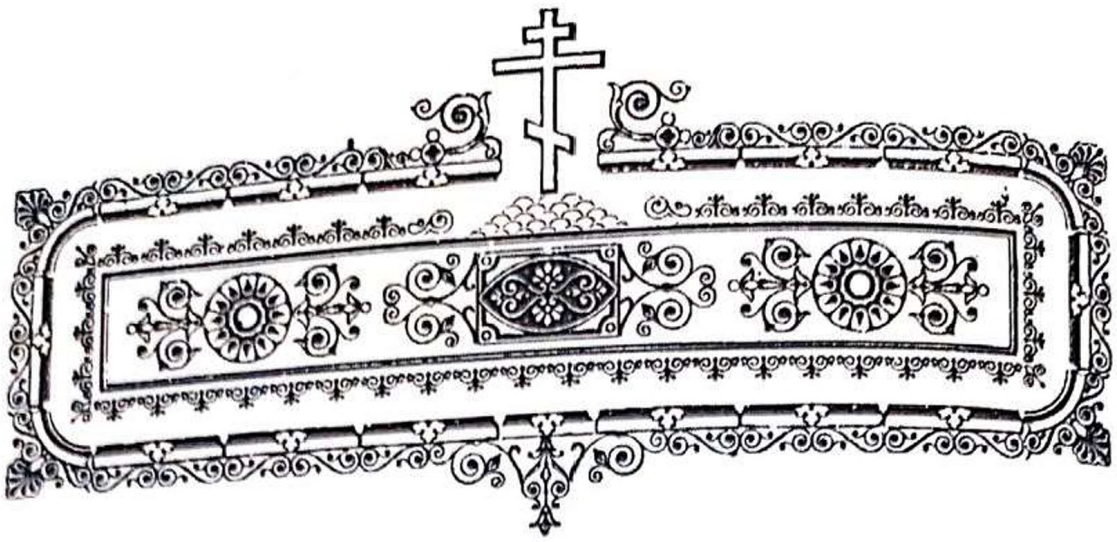

رأينا سابقاً أنّ على الأهل في صراعهم مع ميول الأطفال السيئة أن يهتموا باقتلاع الزلات الأساسية من نفوس أطفالهم. ورذيلة الأنانية هي الشيء المألوف عند الأطفال

إذاً ماذا سنفعل عندما نميّز في النفس الطفوليّة بذرة الهوى المخيفة هذه أولاً؟ وكيف يمكننا أن نزرع ما هو عكس هذا الهوى أعني به فضيلة السكون والتواضع؟

إنّ الحشمة والتواضع هي فضائل طبيعيّة في الطفل، لأنّه بحاجة دوماً للآخرين. وهكذا إن ظهرت الأنانية والكبرياء فهذا يدّل على أنّها نتائج سيئة للتربية ومراقبة خاطئة لحبّ المجد والعلو التي هي بالطبيعة في كلّ إنسان

الرب نفسه يعطي تلاميذه مثالاً للتواضع الحقيقي، وبشكل تمثيلي أحضرَ إلى أمامه صبياً صغيراً وقال: "**مَنْ وَضَعَ نفسَه وصار مثل هذا الطفل. فذاك هو الأكبر في ملكوت السموات**" (متّى ١٨:٤)

لكن للأسف، نصادف مرات عديدة عند الأطفال صورة أو أكثر من صور الأنانية المتعددة وهذه عادةً نتيجة التربية الخاطئة

أولى الصور التي تظهر بها الأنانية في النفس الطفوليّة هي عادةً المجد الباطل أو حبّ الظهور في ... الثياب!. فرح الأطفال بأي ثوب جديد هو شيء طبيعي وبريء، فقط أن لا يتجاوز الحدود، أي عندما يكون هذا الفرح مفرطاً ويأخذ الأولاد يتكبرون بحلّيهم وزينتهم الخارجية ويزدرون الأطفال الآخرين ذوي الملابس البسيطة، عندئذٍ يكونون قد تعدّوا الحدود الطبيعية

هذا الضحك والغرور هو مجد باطل يزرعه الأهل فيهم دوماً، حيث يزيّنون ويجمّلون أولادهم كالدمى ويلبسونهم أمام المرآة كي يتباهوا هم بأنفسهم

ولكي لا تثير في الطفل الاعتزاز والفخر بثيابه عليك أن تبتعد عن مثل هذه الأفعال وغيرها. ويجب أن تعلّم ولدك أن يفهم أن اللّه لا يعير أهمية للملابس وجمالها وقيمتها، بل يرى القلب ونقاءه، وبالتالي فطفلٌ فقير ذو ملابس رثة لكنّ له قلباً نقياً خاشعاً هذا

يبدو بنظره جميلاً جداً. تذكر دوماً أنّ الربّ نفسه عندما كان طفلاً في مذود كان مقمطاً بأقمطة فقيرة

لا يجب أن يعوّد الأهل العقلاء أولادهم على الملابس الفاخرة والباهظة الثمن، بل على الملابس النظيفة والمعتنى بها، لأنّ على الأطفال أن يتعلّموا النظافة وأصول الترتيب

صورة الأنانية الثانية التي نقابلها عند الأطفال هي تَكَبُّرُهم بغنى ومكانةِ أهلهم الاجتماعية، فهم يستهينون بمستوى أهل الأطفال الفقراء المساكين. ولكي لا يألف الطفل هذه الرذيلة المقرفة، عودّوهم أن يكونوا نبلاء في أحاديثهم وتصرفاتهم مع الآخرين وأن يحترموا كلّ إنسان غنياً كان أم فقيراً، له شهرة أم لا. لا تمنعوهم عن أصدقائهم الفقراء إن كانوا أولاداً صالحين. ولا تسمحوا لهم أن يتكلموا بوقاحة وفظاظة مع أيّ شخص أياً كان. أوحوا إليهم أن اللّه لا يعير انتباهه للغنى أو الشهرة بل للفضيلة والشرف. حدثوهم عن يسوع، اللّه نفسه، الذي اختار لنفسه أهلاً ليسوا أغنياء أو ذوي شهرة، بل نجاراً لحمايته ورعايته وابنة غير معروفة من الناصرة لتكون أمّه

صورة الأنانية الثالثة التي يراها المرء عند الأطفال هي انشغالهم الدائم بفضائلهم الظاهرة الحقيقية. كثير من الأطفال يكونون متكبرين بالطيبة وحسن النيّة التي فيهم وبالاجتهاد

والحشمة والوقار والذكاء والفطنة. فيعتبر الطفل أنّ التزامه في المدرسة وتقدّمه وامتيازه في حسن السلوك ليس بحاجة إلى لوم أو توبيخ. مثل هذا المجد "النبيل" يتصّف به كلّ إنسان بالطبيعة وقد زرعه اللّه في القلب الطفولي منذ البدء

لكن هذا المجد لا يجب أن يتجاوز الحدود فعلى الطفل أن يكون مجتهداً محتشماً ورعاً ليس فقط كي يفتخر به الآخرون بل لأنّ اللّه يطلب ذلك. وأن يتعلّم أن يبتعد عن الشرّ والخطيئة ليس خوفاً من العقاب بل لأنّ اللّه يحزن منها ويمقتها

انتبهوا أنتم أنفسكم ألاّ توحوا إلى الأطفال بالافتخار والتباهي والمدح والمجد الباطل المفرط به

لا تمدحوهم كثيراً عندما يلبسون بشكل حسن وجميل. نظرة واحدة وابتسامة رضى وكلام حار قليل ولكن معتدل يكفي كمكافأة لأن يتقدّم إلى الأمام ويندفع. لا تسمحوا مطلقاً للأطفال أن يتكلموا كثيراً وأن يمدحوا أنفسهم. وعليهم ألاّ يتدخلوا في أمور الآخرين ويصححوا شيئاً ما بوقاحة عندما يتكلمون. أخيراً، علّموهم الطاعة الحقيقية لأنّ الطاعة هي أفضل معلّم للتواضع

إن أردتم أن يكره أطفالكم كل صورة للكبرياء والعظمة والمجد الباطل والغرور، أشيروا إليهم بأنّ الأنانية خطيئة جسيمة. علّموهم أنّها "بدء كلّ الخطايا" كما يقول الكتاب المقدّس، وما هي

إلاّ "علَقَة" أمام اللّه. حدّثوهم عن الأرواح الشريرة التي سقطت من السماء بسبب الكبرياء. وأيضاً فإن الأنانية التي أرادها الجدّان الأوّلان وبتحريض من الشيطان كي يصيرا آلهة هي التي أفقدتهم الفردوس

تقود الأنانيّة أيضاً الأطفال ليسقطوا ويتبعها كلّ سقوط آخر. لا تنسوا أن تعلّموا أطفالكم أنّ فضيلة التواضع حسنة ومرضية لله، وكيف أنّ اللّه يرفع المتواضعين، وقدّموا لهم كنموذج للتواضع العظيم الرب نفسه الذي قال لنا: "**تعلّموا منّي، فإنّي وديعٌ ومتواضع القلب**" (متّى ١١:٢٩)

أيّها الأهل! تريدون أن يكون أولادكم مطيعين وصالحين، فإن رغبتم حقاً بهذا لتروا أولادكم مبتهجين، أوحوا إليهم بالتواضع إذاً. فالإنسان المتواضع وديع وقنوع وهانئ

في النهاية لكي يكون لدى أولادكم بركة اللّه علّموهم التواضع - بالقول والفعل - لأنَّ "**اللّه يقاوم المستكبرين وأمّا المتواضعون فيعطيهم نعمةً**" (يعقوب ٤:٦)

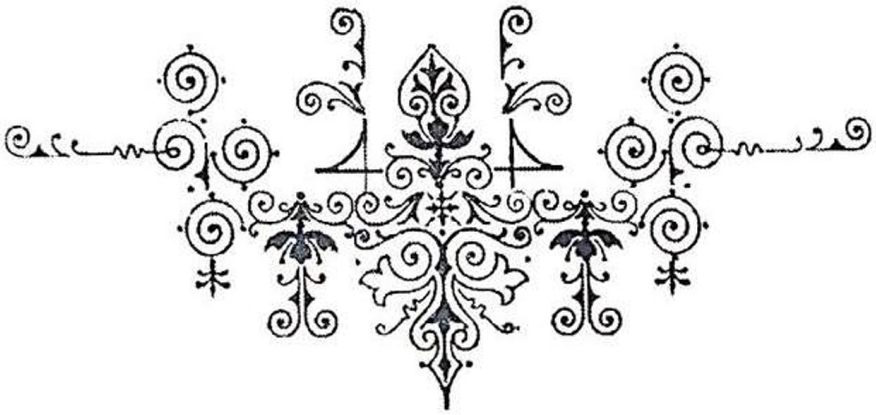

الفصل الثامن

أَصْلُ كلِّ الشرور

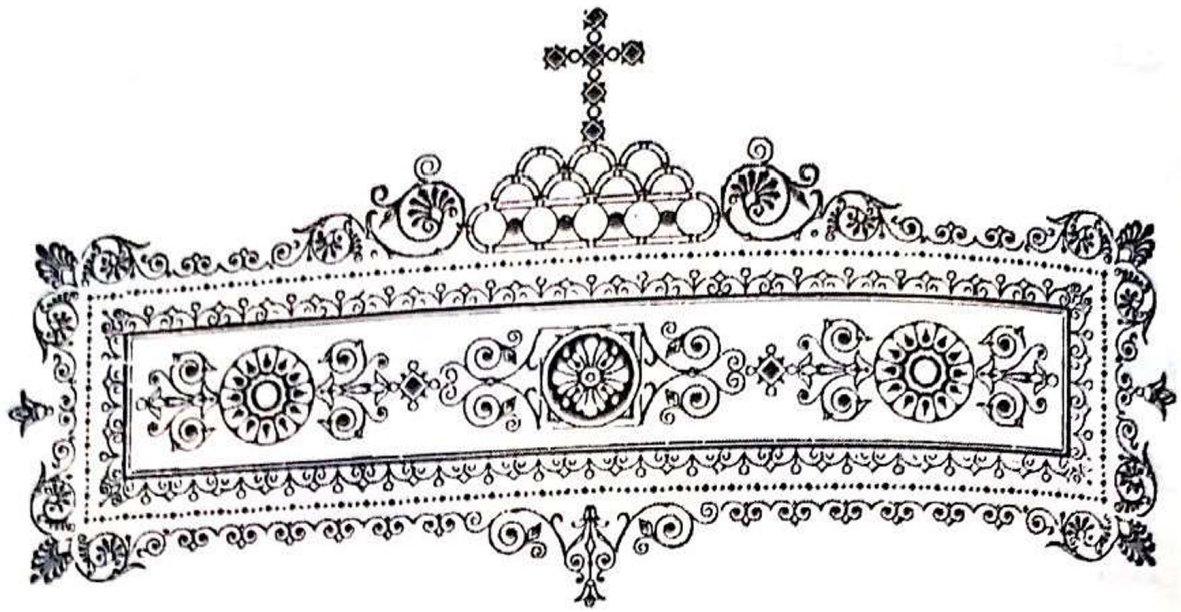

الشراهة خطيئة أساسيّة ثانية. فالإنسان الشره يكرِّس نفسه وذهنه بالكليّة للمال، ويكدّس الثروة ويمكث غير مكترث لحاجات الآخرين

إنّ كلمة اللّه دعا محبّة المال "**أَصْلُ كلِّ الشرور**" (١تيموثاوس ٦: ١٠). ويكتب بولس الرسول عن "**الذين يريدون أنْ يكونوا أغنياء فيسقطون في تجربة وفخ كثيرة غبيّة ومُضِرَّة تغرق الناس في الغضب والهلاك**" (١تيموثاوس٦: ٩). ويشمل الرسول بولس الطمع من بين الخطايا التي تمنع الإنسان عن ملكوت السموات ويقول: "**إنَّكم تعلمون أنَّ كلَّ... طمّاع هو**

عابد للأوثان ليس له ميراث في ملكوت المسيح واللّه" (أفسس٥:٥). وأيضاً الرسول بطرس يسمّي الطمّاعين "**أولاد اللعنة**" (٢ بطرس ٢:١٤)

أتفهمون إذاً بأنّه عليكم أن تحفظوا أنفسكم من هذه الرذيلة وتحموا أيضاً أطفالكم منها. وهنا سيتبادر إلى ذهنكم السؤال التالي: ماذا عليكم فعله لئلا يكتسب أولادكم رذيلة الطمع وحبّ المال؟

إن الأهل أنفسهم يزرعون في نفس الأطفال هوى الشراهة عن معرفة أو عن جهل. في كثير من العائلات، لا يسمع الأطفال أحاديث إلاّ فيما يختص بأمور الدخل والإيراد وما شابه ذلك. فإن وُجدوا في بيت رفيع الغنى هذا يشكّل مشكلة رئيسية في تفكيرهم بأنّ الغني يعتبر السعادة الكبرى بماله بينما يندب الفقير حظّه التعيس. ويراقب الطفل الحالات العائلية ويوازيها بصداقاته فيحترم الأطفال المساوين له بالمكانة الاجتماعية، إن هذا لضلال كبير!. فمن الطبيعي بعد هذا أن يألف الأولاد هذا الفكر الجهنمي، ويعتادوا التفكيرَ أن الناس وجدوا ليربحوا الأموال وأن المال فوق كلّ شيء في هذا العالم

في بعض الرعايا، كما أخبروني، لا يريد الشباب أن يرتلّوا مجاناً في (خورص) كنيسة رعيتهم في حين أنّهم بعد تلاميذ في

مدارس الموسيقى البيزنطيّة، لأنّهم متفقون مع أفكار أهلهم بأنّ على الكنيسة أن تدفع لهم مقابل كلّ خدمة. فيبدو أنّ أولاد هؤلاء الأهل التعساء هم مصادر دخلٍ مادي لهم. للأسف أين وصلنا!

ماذا سيحدث عندما يكبرون؟ سيقومون بما يكفل لهم المردود المالي فقط. أمّا في هيكل اللّه فلن يجد المرء هذا لذا فلا داعي لأن يأتوا للكنيسة. بهذه التصرفات يبعد الأهل أولادهم عن اللّه، وهم يثبتون أنّهم بلا إحساسٍ أو ضمير، ويعلّمونهم أن يخدموا إله المال ويبتعدوا عن طريق الخلاص

لقد أشار لنا العبرانيون عن تأثير الشراهة في الحياة الدنيوية برقصهم حول العجل الذهب وعبوديتهم له في بريّة سينا (خروج ٣٢:١). فكما سجدوا هم للعجل الذهبي هكذا يسجد الناسُ اليومَ لإله المال ويحترمونه بدلاً من اللّه الحي

تبدو الشراهة عند الأطفال بأشكال مختلفة. فيحاول الأطفال الصغار عادةً أن يأخذوا قدر ما يستطيعون من إخوتهم الأكبر منهم سناً، ولا يعطون شيئاً منه لأحد

كي تحفظوا أطفالكم من هذا الهوى، عليكم أن تحرضوهم على الكرم والسخاء، عندما تعلّمونهم أن يقسّموا ما لديهم على الآخرين، وأن يعطوا الفقير والمحتاج إحساناً وأن يخدموا بقدر ما يستطيعون من بحاجة للمساعدة

علّموا أولادكم العطاء ليس شفقة ومشاركة في الحزن فإن هذا أمر فطري في كلّ إنسان بل ثقة أنّ هذا الذي يقدموه للفقير والمحتاج يقدّموه للمسيح نفسه. علّموهم بكلام ذاك الذي قال: "**مغبوطٌ العطاءُ أكثر مِن الأخذ**" (أعمال ٢٠:٣٥). فلتتعلّم يد الطفل أن تُحسن لتشعرَ بالفرح المتهلل

تتجسّد الشراهة في شكلٍ آخر بأنّ الأطفال لا يقدروا أن يفعلوا شيئاً البتة. علّموهم إن أردتم إبعاد الشراهة عنهم أن يقتنعوا بالذي عندهم وأن يشكروا على كلّ شي: الثياب، الألعاب، وكلّ ما يملكونه. وفي علاقاتهم طبقوا عليهم القانون التالي: "من لا يكون شكوراً بالذي لديه لن يحصل على شيء"

ألا يقنع الطفل بالطعام الذي قدّم له، بالملابس أو بالألعاب التي اشتريتموها له؟. أرجعوها فهذا يحسّن كثيراً في سلوكه وعطائه وقناعته

هناك ظاهرة ليست نادرة بين الأطفال وهي إدعاء ملكية الأغراض الغريبة. في هذا كونوا منتبهين، إن رأيتم في أيديهم شيئاً لم تشتروه لهم، اسألوهم أين وجدوه، وإن تيقنتم أنّهم أحضروه من الآخرين ألزموهم بقسوة أن يرجعوه من دون إبطاء. مرّةً تلو المرة ألقوا نظرة على أدوات أطفالكم المدرسيّة، ربما تجدون هناك أغراضاً غريبة، وإن أحضروا إلى البيت شيئاً وجدوه في الطريق أو

في المدرسة فأشيروا إليهم أن يرجعوه إلى الصف فربما نسيه أحدهم سهواً

لا تسمحوا لأولادكم أن يبدّلوا أغراضهم وبالأكثر أن يبيعوها! فهذا يسهّل عليهم أن يتعلّموا الغش والخداع. أخبروهم أن الذي ربحوه بالغش لا يثمر ولا يجدي نفعاً

علموا أولادكم من الصِغر أن يميزوا بين "خاصتي" و"خاصتك". ولا تسمحوا أن يأخذوا دون إذن أغراض إخوتهم، فبهذا السلوك تعلّمونهم احترام خاصيات الآخرين ومقتنيات الغرباء

أرشدوهم أن يتساعدوا فيما بينهم وأن يعطوا إخوتهم أو أصدقاءهم أغراضهم الخاصّة مثلاً عندما يحتاجون إليها الآخرين

أخيراً، إن أردتم أن تحفظوا أطفالكم من الطمع أومن أي شكل له وألاّ يكونوا عبيداً للمال؛ فعلّموهم - بأقوالكم وأفعالكم - أنّ القيمة الحقيقية في الحياة هي عمل الصلاح

تابعوا أقوالكم لهم بأن المال والثروة ليستا قمم الصلاح على الأرض. وأن الصالحات العلويّة تتجلى في الفضيلة والعدل؛ ولهما فقط عند اللّه أهميّة كبيرة. أعطوهم فهماً أن الإنسان ليست لديه أيّةُ قيمة إن ربح العالم كلّه وخَسِرَ نفسه

لا تتوانوا أنتم عن حياتكم الروحية من صلاة وصوم وخدمة

في الكنيسة. أظهروا بأسلوب حياتكم لأطفالكم أن اهتمامكم الرئيسي ليس كسب الأموال بل خلاصهم والغبطة الأبدية

لقد أشرنا كيف نحارب ميل الأطفال تجاه الطمع وكيف نحفظهم من هذا الهوى الخطير. وأُجْمِلُ القول في النهاية:

علّموا أطفالكم أن يكونوا كريمين جوّادين وقنوعين. ازرعوا فيهم شعور الاحترام وأوحوا إليهم بالكره العميق تجاه الكذب. علّموهم - بالقول والفعل - قيمة الخيرات الدنيوية الحقيقية. ربّوا أولادكم من أجل اللّه والسماء لا من أجل الأرض. اهتموا ليس فقط بالجسد الفاني الفاسد بل بالنفس الخالدة أيضاً.أعطوهم زاداً للحياة الأبديّة وليس لهذه الحياة الزمنية

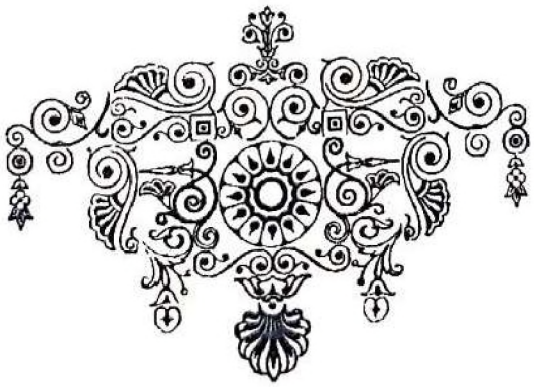

الفصل التاسع

سمُّ الحسد

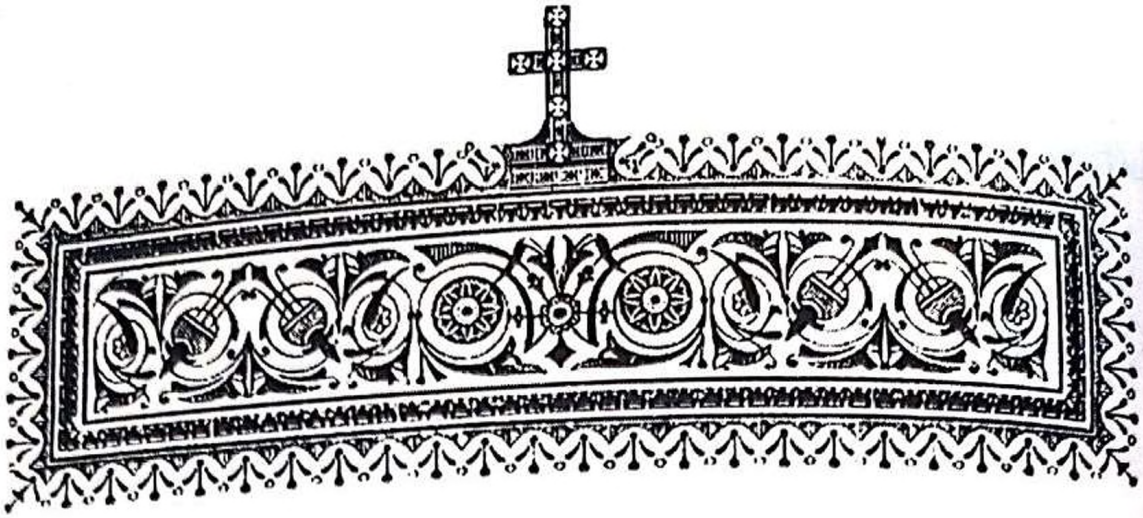

الحسد هو الرذيلة الثالثة المعتادة عند الأطفال وعلى الأهل واجب اقتلاعها في الوقت المناسب

يتمزق قلب الإنسان الحسود من الحزن عندما يصادف إنساناً هانئاً وسعيداً، بينما تغمره سعادة كبرى لا توصف وفرح وارتياح عَظِيْمَيْن إن كان هذا الإنسان يجرّب ويقاسي

نتمنى يا أحبّة ألاّ يتواجد بيننا مثل هذا الإنسان! ونجيب هنا على السؤال التالي: ماذا يفعل الأهل حيال الغيرة والحسد كي لا تكبر وتنمو في قلوب الأطفال؟

سجّلوا القوانين الخمسة التالية:

القانون الأول: أخمدوا في الوقت المناسب كلّ غيرة ظاهرة

عند الأطفال

هذه الرذيلة تظهر بأشكال متنوعة في النفس الطفوليّة. ونراها هنا بأمثلة محددة ولكنها تفيد الملاحظات بشكل عام

إنْ طلب الأطفال وهم على مائدة الطعام ملء أطباقهم أولاً، فهذا يعني أنّهم يخشون إن أتى دورهم يكون الطعام الأفضل قد وُزِّع على الآخرين

وإنْ أكلوا بسرعة وألقوا نظرات قلقة خلفهم فهذا دليل على أنَّهم يريدون صحناً آخر

وإنْ حدَّقوا عابسين في صحون الآخرين فهم بذلك يقارنون الحصص الموزعة من الطعام

وإنْ قارنوا أدواتهم المدرسيّة والثياب والألعاب التي أعطيتموها لهم مع إخوتهم فهذا ليروا مَن الذي أخذ الأفضل

كلّ هذه علامات غيرة وعليكم أن تجتثوها حيث ومتى ظهرت

إنْ لم يقبل الطفل ما تقدّمونه له فهذا لأن الآخر أخذ مثيله وهنا تتأكدّون أنّ الغيرة تأصّلت فيه. عليكم أن توبّخوه على مثل هذا التصرف، وفي حالة الإعادة عليكم أن تعاقبوه بقسوة

شكلٌ آخرُ للحسد يبدو في الأطفال عادةً هو الشماتة، وتظهر هذه بأشكالٍ مختلفة

إنْ ضحك الأطفال بكرهٍ في حال معاقبةِ أحدهم، أو استهزأ بالمتعاقب، عليكم أن توقعوا عليه العقاب نفسه

وإنْ نمَّ أحدهم على الآخر فليعاقب بقسوة

وإنْ أفشى زلّة صديقه أو زميله بهدف واضح أن يعاقب بقسوة أكبر

ولا نقبل أي شكوى من الأولاد، فقط عندما يطلب الأب أو الأمّ منهم أجوبة صحيحة لما حدث. وفي هذه الحالة عليكم بنصح أطفالكم كي يخبروكم عن سلوك الآخرين ليس للشماتة بل لتفادي الخطيئة

القانون الثاني: لا تثيروا الحسدَ في قلوب الأطفال. فهذا يكون عند الأهل الذين يعطفون على ولدٍ ما أكثر من أخيه. هذا مرفوض البتة عند الأهالي المسيحيين. عندكم إلزام أن تحبّوا أبناءكم بالتساوي وأن تعاملوهم المعاملة نفسها*. فالاختلافاتُ تهيِّجُ الحسدَ في قلوب أولئك الأطفال فيعتبرون أنفسهم مظلومين

يجب ألاّ تكون لديكم معاملةً خاصّةً لا في الطعام ولا في اللباس ولا في الهدايا لطفلٍ على حساب الآخر بل الكلّ سواسية. عليكم إتباع مقياس عام في المدح والتوبيخ، في الحنان والقساوة،

---

* - يُروى عن قصّةٍ أنّ أحدهم سأل أُمّاً لديها تسعة أولاد من تحبُّ منهم أكثر. فأجابت تلك: "صغيرهم حتى يكبر، غائبهم حتى يرجع، ومريضهم حتى يبرأ"

في المكافأة والعقاب

كم هي مؤسفة النتيجة التي وصلت بإخوة يوسف لأن يفعلوا به هذا، فمحبّة أبيه الخاصّة له قسّت قلوب إخوته،حتى وإن لم يقتلوه، لكنّهم باعوه عبداً في مصر

القانون الثالث: لا تعلّموا أطفالكم الحسد بأقوالكم. فإنْ كان الطفل يسمع دوماً من أبيه وأمّه أقوال الحقد والشرّ على معارفهم وأقاربهم وإخوتهم. يلعنوا باستمرار الأغنياء ويلعنون حظّهم بأنّهم لم يكونوا مثلهم، كيف من الممكن استئصال الغيرة والحسد من قلوبهم الطريّة وأن لا يشتدّ الميل نحو الشرّ بالأكثر فيهم؟

القانون الرابع: علّموا أولادكم أن يكرهوا ويمقتوا الحسدَ فإنّه الرذيلة التي تسبب لله حزناً كبيراً

الحسد هو رذيلة سيئة، لكن لا يجب على الأطفال أن يبتعدوا عنها لوحدهم فقط. والحسد هو رذيلة جدباء غبيّة لأنها لا تعطي ربحاً للحاسد بل على العكس تضيّعه لأنّها تسمّم حياته. لكن الأطفال يجب أن يبتعدوا عن الغيرة دوماً لأنها خطيئة كبيرة أمام اللّه. كم يكره اللّه الحسد!. أنتم من يستطع متابعة الأولاد أفضل من الآخرين فالحسد يأتي من الشيطان، وهو من جلبه إلى العالم. احسدوا الغبطة والسعادة التي كان يتمتّع بها الجدّان الأولان آدم وحواء في الفردوس. ثم أروا أطفالكم كم شروراً أحضرها الحسد

إلى العالم، وبدافع الحسد أغوى الشرير جدّينا الأولين إلى الخطيئة. ودفع قايين أن يقتل أخيه هابيل، وباع أبناء يعقوب أخوهم يوسف عبداً، ووشى الفريسيون الرب وسببوا له الموت!

اشرحوا أيضاً للأطفال أنّ الحاسد يتشبّه بالشيطان وسيلقى العقاب نفسه. والشكل الرئيسي للحسد هو بكلام الحكيم سليمان: "**بحسد إبليس دخل الموت إلى العالم**" (حكمة سليمان ٢:٢٤)

القانون الخامس: ازرعوا في نفوس أطفالكم منذ الطفولة الفضيلةَ التي هي عكس الحسد، فضيلة الرغبة الصالحة تجاه الكل وبشكل عام محبّة الشخص الذي يطبّق وصيّة الربّ: "**كلُّ ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم أيضاً بهم**" (متّى ٧:١٢)

على الأهل أن يلهموا أولادهم على المحبّة الصادقة للبشر بالقول والفعل. وعلى الأطفال أن يتعلّموا مساعدة من هم بحاجة إلى المساعدة، ويتساهلوا لضعفات الآخرين وأن يكونوا خدومين وصالحين ويفعلوا الخير مع الآخرين. وأن يتعلموا منسجمين مع أقوال الرسول بولس: "**فرحاً مع الفَرِحِين وبكاءً مع الباكِين**" (رومية ١٢:١٥). وأن يتعلّموا أخيراً أن يحتملوا زلّات وأخطاء الآخرين وألاّ يكشفوا هفوات أصدقائهم وزملائهم

الربُّ أعطى الأهميّة نفسها لمحبة البشر بوصية المحبّة لله وأعطى مكانة للتلاميذ الحقيقيين بهذه المحبّة قائلاً: "**بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إنْ كان لكم حبٌّ بعضاً لبعض**" (يوحنا ١٣:٣٥)

أيّها الأهل لقد رأيتم طرقاً أساسية لتنتصروا وتجتثوا من قلوب أولادكم الحسد. ورأيتم أنّ الحسد رذيلة غبيّة طالما أنّها لا تعطي جدوى أو منفعة، بل فقط تنفث سمومها في الحياة. ورأيتم أنّ الحسد هو خطيئة مخيفة طالما أنّه يقلب وصيّة المسيحيّة الأولى بالعكس "**تحبّ قريبك كنفسك**" (متّى ٢٢:٣٩). وتأكدتم أنّ الحسد رذيلة شيطانية حقيقية لأنّه يأتي من الشرير وبه يشتبه الإنسان بالشيطان

لهذا أيّها الأهل، تجنبوا الحسدَ واحفظوا أولادكم منه. حاربوا بكلّ جوارحكم كلّ حسد ظاهر في نفوسهم، ولا تثيروا بتصرفاتكم الغيرة بينهم. اجعلوهم يرون بالقول والفعل أنّ اللّه يحزن من الحسد

ازرعوا أخيراً في نفوسهم البسيطة ما هو عكس الحسد أعني به الطيبة ليصير أطفالكم أولاداً حقيقيين لأبيهم السماوي الذي "**يُشرِق شمسَه على الأشرار والصالحِين ويُمطِر على الأبرار والظالمين**" (متّى ٥:٤٥)

الفصل العاشر

دعوا الأطفال يأتون إليَّ

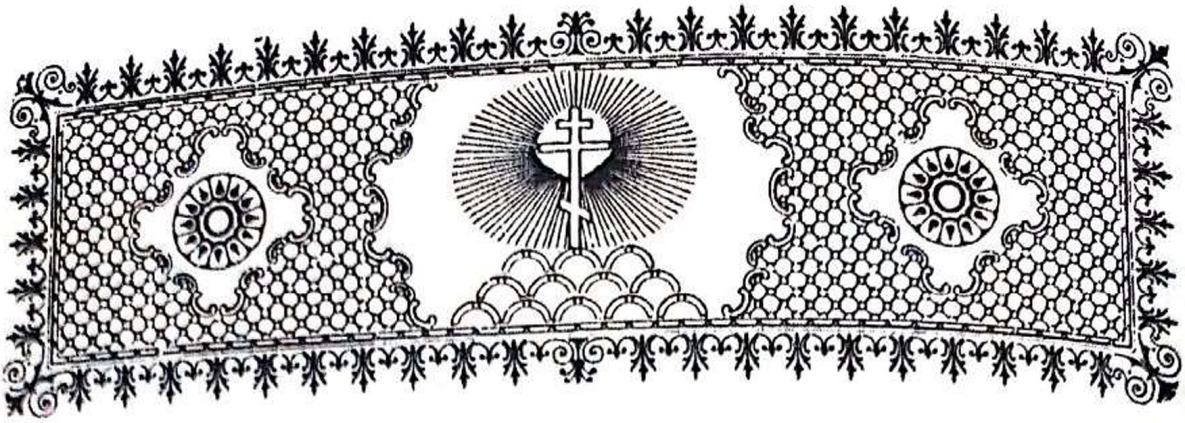

في إحدى الأُمسيات وبعد يوم متعب حيث كان الرب يعظ ويتجادل مع الشعب وتلاميذه والفريسيين دون استراحة دنت إليه بعض الأمهات اللواتي أردن أن يحضرن أولادهنّ إليه كي يباركهم. لكن التلاميذ لم يريدوا ذلك لكي لا يتعبوا الرب ولهذا لم يسمحوا باقتراب الأولاد منه، عندها قال يسوع بكلام حنون: "**دَعُوا الأطفالَ يأتون إليَّ**" (لوقا ١٨:١٦). هذا بالضبط واجب الأهل المسيحيين، آباءً وأمّهات، ليقودوا أولادهم للمسيح المخلّص

وهنا سيتبادر إلى ذهنكم أنّ المخلّص اليوم لا يعظ على الأرض فكيف سنقرب الأولاد إليه؟. لكنّكم ستربحون أيضاً إن أحضر الأهل أطفالهم للمس المسيح بالإيمان الأرثوذكسي وبأسرار الكنيسة المقدّسة وإن طلبوها بحرارة وأطاعوا قانون اللّه.

والطريق الذي سيقود إليه هو التربية الكنسيّة المسيحيّة الأرثوذكسية

مشكلة عصرنا الكبيرة اليوم هي أنّ الأطفال لا ينشؤون تنشئة سليمة، ويشتكي الأهل دوماً لهذا. للأسف شكواهم أساسية ولا أحد يستطيع أن يشك أن التربية التي يقدّمها الأهل اليوم هي ناقصة وغير سليمة

تنشئة الأطفال مرض كبير، فعندما تريدون تطبيب المريض أول ما تهتمون به هو معرفة مكان الألم. لهذا علينا قبل كلّ شيء أن "نعرف ما الذي يؤلم أطفالنا في التربية؟"

أولئك الذين يعاشرون الشباب سيقولون لنا - إن كانوا صادقين - أنّ هذا بسبب انعدام الحياة المسيحيّة والأخلاق الأرثوذكسيّة. ولهذا تخبر العائلات أولاً ثم المرشدين والأساتذة والكهنة أنّه قد يأتي إلى المدرسة مرات كثيرة أطفالٌ عديمو التنشئة العائلية المسيحية. ويسأل أحدهم الطفل: "أتصلّي للّه؟". ويأخذ جواباً: "لا أحد يصلّي في البيت"

محاولة التعليم والتهذيب تجد دعماً في البيت العائلي. فهناك كثير من الأطفال لا يكترثون للكنيسة والصلاة وحتى لا يعرفون رسم إشارة الصليب. وعلى لسان هؤلاء الأطفال تسمع دوماً في المدرسة مجادلات وقحة بمواضيع الإيمان والكذب وبذاءة اللسان

والتجديف الشديد الوقع أو إشهار صريح بعدم الإيمان

راقبوا أيضاً كيف أنَّ أولاد عصرنا تنقصهم تلك الفضائل التي يجب أن يتحلّوا بها في عمر الطفولة

نقرأ عن الربّ يسوع وهو في الثانيّة عشرة من عمره أنَّه ذهب مع أهله إلى هيكل أورشليم وكان طائعاً لهما "**وكان يسوع يتقدَّم في الحكمة والقامة والنعمة عند اللَّه والناس**" (لوقا ٢:٥٢)

هذا هو النموذج الذي على الأطفال الاحتذاء والتشبه به.

وهذا ما يحدث اليومَ، أليس كذلك؟؟

سأذكِّركم ببعض هفوات أطفال العصر الحالي والتي تشتكون منها دوماً، وأعتقد أنّكم ستوافقونني الرأي بمايلي:

قبل كلّ شيء أنتم من اشتكى بقولكم: فقد أولادكم حشمتهم وتحتجّون على وقاحتهم ومزاجيَّتهم وقساوتهم وصلابتهم. يكفي أن تنظروا حولكم وتلاحظون تصرف الأولاد مع الأهل أو مع الأكبر منهم سناً!...

أنتم أيضاً مَن يشتكون عن عدم طاعتهم لكم ولأقوال الأكاذيب من أفواههم، وأنّكم لا تستطيعون تبرير طيشهم، وأنّهم لا يضغطون على أنفسهم بأيّ عملٍ جديّ.

هل أنتم مشغولون بشرود ذهنهم أو بالأمور الماديّة الكثيرة التي تستمتعون بها والتي استحوذت على تفكيركم؟

وقلتم أيضاً أنّ الأطفال يعرفون أموراً ويتصرَّفون بها في حين أنّ الكبار يخجلون كثيراً قبل أن يقومون بها، وهنا نتَّفق مع قول الرسول "يجب ألاَّ تكون مناقشات المسيحيِّين البالغين لها مكانة عند الأطفال"

على من اللوم بهذا يا ترى؟... باختصار وبجواب صحيح: إنّ الأطفال لم يتلقّوا تربيةً حسنةً والمسؤولية الكبرى تقع على عاتق الأهل

طبعاً، بعض الأهل سيقبلون بهذا الجواب، أمّا الأكثرية للأسف يؤمنون - ويتباهون به - ويكملون بضمير حيّ أنّهم أتمُّوا واجباتهم التربويّة تجاه أطفالهم، فعلى مَن يقع اللوم إذاً إنْ لم يتشرَّب الطفل التربية التي يجب أن تكون؟

وتبدؤون بالاحتجاج وتوقعون اللوم على اللَّه! وأنّ اللَّه من يستطيع القيام بكلّ شيء حتى في التربية السليمة إن أراد

إنّ اللَّه في البدء بارك اتّحاد الرجل والمرأة وحدَّد رباط الزواج غير منفصل، ليكونوا شريكين في المحبّة المتبادلة ويقودوا أولادهم معاً للخير! ربّنا يسوع المسيح رفّع سرّ الزواج مانحاً للأهل نعمته الإلهيّة والتي تتطلّب إنجاز واجب التربية السليمة

أعطى اللَّه لكلِّ طفلٍ ملاكاً حارساً، وبسرِّ المعمودية امّحتْ خطيئة الجدَّين الأوَّلَين من نفسه، وبسرّ الميرون خُتِمَ بمواهب

الروح القدس الخاصّة، وخصّ الأهل بكلّ بذرة جيّدة كي تعطي "ثمراً صالحاً"، وأخيراً بسرّ الشكر الإلهي يتحدّ الطفل سريًّاً مع الرب نفسه ويتقوّى في الحياة الروحيَّة ويأخذ ضمانٌ للحياة الأبدية

ألم يفعل اللّه كلّ هذا ليخفّف من جهاداتكم وأتعابكم؟ فليس اللوم إذاً عليه إن لم يتلقَّ الأولاد التربية الصحيحة أو كانوا غير صالحين!

فهل يقع اللوم إذاً على الأساتذة والمعلّمين؟ أُجيبَ على هذا التساؤل بلسان كاتب روماني يدعى كويندليلينانوس: "لا يكتسب الأولاد العادات السيئة من المدرسة، بل يُحضِرونها معهم إليها"

عادةً، يأتي السوء من الأهل الذين يلقّنونه للأطفال بأمثلة سيئة، فمنذ الصغر يرى الأطفال ويسمعون أشياء أكبر من عمرهم، ويعتادون على مثل هذه الخطايا الكثيرة فتمتلئ قلوبهم من الرذائل قبل أن يتعلّموا ما هي الرذيلة

وعندما يأتون في النهاية إلى المدرسة عندها ماذا سيفعل معلّموهم معهم، لقد تأخَّروا كثيراً

غالباً ما يكون الأولاد قد فسدوا في البيت ويحضرون معهم إلى المدرسة عاداتهم السيئة كالكذب والغش والوقاحة

فماذا يجب على المعلّمين فعله في الساعات القليلة التي

يقضيها الولد في المدرسة وفي بيته يغلب مناخٌ مغاير تماماً للتربية التي يجب أن تكون؟

فهل لومنا الآن على الأطفال أنفسهم؟

لا، يا أحباء! هذا الولد يستطيع أن يخلق عالماً إنْ أراد. نفسه تشبه شمعة ليِّنة يرسم فوقها إن أراد أيقونة اللّه أو يرسم صورة الشيطان، وهذا متوقّف على التربية التي تلقّاها!

غالباً ما يسمّي الأهلُ الولدَ "بالملاك". ولكن بتربيتهم إيّاه يفقدون كلّ صفة ملائكيّة فيه. وستقولون أيضاً أن للأطفال ميولاً سيئة محددة مغروسة فيهم. نعم هذا يحدث غالباً وهذا نتيجة خطيئة الجدّين الأولين، فعلى سبيل المثال لدى أحد الأطفال سوء الخلق، والآخر كسول والثالث مخادع؛ فلأجل هذا وُجدتْ التربية ووُجِد الأهل ليمنعوا نموّ هذه الميول السيئة. بالسّياط المتنوعة تُروَّض الحيوانات المتوحشة. ألا نستطيع نحن أن نكبح بالتربية ميول البشر العقلاء السيئة ؟. فهذه الرذائل تصبح متمرِّدة عندما ندعها تكبر دون ضابط بالتربية المسيحيّة السليمة. "وأيضاً" ستقولون: "ولدي أو ابنتي كانا أولاداً جيِّدين، لكن أصدقاءهم قد أفسدوهم. فهل يقع اللوم على كلِّ الأصدقاء؟

اتركه، إن كان لديه حق، فعلى من اللوم إذاً إذا كان أولادكم بمثل هذه الرفقة السيئة؟. ربما هذا ليس واجب الأهل بمتابعة

"شلة" أولادهم؟ هل ذاك راعٍ جيد يعيش في راحة بالٍ إن شاهد قطيعه فاقداً أحدهم في المستنقع؟. وهكذا على من يقع اللوم إن ترك الأهالي أولادهم يذهبون مع أياً كان أو إلى أين مكان شاء دون مراجعة أو حساب؟ هذه المسؤولية في التدمير تقع على الأهل بشكل واضح

هل يستطيع الأهل أن يردّوا مسؤولية تدمير الأطفال إلى روح العصر السائدة؟. يشتكي الكثير من الأهل ويتذمرون بالقول: "إنّ العصر الحالي أسوأ من عصرنا، فعندما كنّا شباباً ، كان هناك خوف اللّه وكان الأطفال يسمعون من أهاليهم ويحترمونهم بشكل أفضل ممّا يحدث اليوم"

في هذا الكلام لا أنكر أنَّ هناك حقيقة ما، فللأسف المناخ الذي يسود اليوم في العصر الحالي سيّء للغاية. وقد أصبح موضوع الصدق والحقيقة نادرين جداً. أمَّا احترام القيادة الروحية والمدنيّة وتقدير الأساتذة والشيوخ هي "أفكار بالية"

للأسف، لا أحد يستطيع أن ينكر أنَّ "روح" عصرنا تؤثر في الأطفال إلى حدّ ما وخاصّة عند الشباب الجامعي. ولكن هل هذه الواقعة تلغي دور الأهل في المسؤولية والإدانة؟ ألا توجد طريقة ما ليحفظوا بها أولادهم من روح العصر؟

عندما يعصف خارجاً الجليد ماذا تفعلون؟ ألا تغلقون

الأبواب والنوافذ لكي لا يدخل الصقيع إلى جوّ الغرفة الدافئة؟ وهكذا عليكم أن تفعلوا مع "روح العصر"، نستطيع أن نردّ دخوله إلى المنزل الدافئ إنْ ربّينا أولادنا تربية مسيحيّة سليمة لا شائبة فيها

لكن، إن انسجم الأهالي مع "روح العصر" وآمنوا أنّ عليهم ألاّ يسبحوا عكس التيّار، عندها لا يمكنهم بالطبع أن يصونوا الأولاد من تأثير أذى هذا العصر الفاسد

فإن كان الوالد ذو "روح عشوائيَّة" وكان "عصريًّاً" و "تقدميًّاً"، وإذا لم يعط أهميّة لأيّة قيادة أو سلطة أخلاقية، وإن كان يتحدث ضدّ الكنيسة ويستهزئ بالحقائق الإيمانية فكيف يستطيع عندها أن ينتظر احتراماً من ابنه أو ابنته؟

إن لم يحترم الأهل اللّه وكنيسته المقدّسة فكيف سيحترمهم أولادهم؟

وعلى الأكثر من هذا، إن كان الأهل والأولاد يتجاذبون بأحاديثهم السلطة المدنيّة أو الروحيّة ويغتابون رؤساءها وينتقدون ويحكمون على الآخرين، ولا يعترفون بأيّة سلطة أو حقيقة، فكيف سيعترف أولادهم بسلطتهم كأهلٍ وحقائق يتفوّهون بها؟

إذاً، إن أردتم ألاّ تلوّث "روح العصر" أولادكم، تحرّروا أنتم أولاً من تأثيرها، وطبقوا قانون اللّه وتعاليم كنيستنا الأرثوذكسيّة

لقد أشرنا بوضوح كامل أنّ المسؤولية الكبرى تقع عليكم وتثقلكم ليأخذ أولادكم التربية الصحيحة، فالروح التي تغلب دوماً هي "روح الحقّ"، ونقرأ في العهد القديم "أنَّ الإنسان يُعرَف من أطفاله". أي من سلوك الأطفال تستطيع الحكم على قيمة الأهل

في العالم الوثني كان الأهل مسؤولون عن أخطاء أولادهم

"ليكورغوس" مُشرِّع القوانين المشهور في إسبارطة القديمة، حددّ بالقانون: "أن يعاقب الأهل بسبب زلّات أولادهم!" لماذا؟ لأنّ الأهل كانوا يستطيعون وملزمين أن يتراجعوا وينثنوا عنها فيمنعون بذلك أولادهم عنها فيما بعد

والد الفيلسوف "ذيوبينيس"، ضربَ ولداً صغيراً لأنّه تفوَّه ببذاءة الكلام أمامه. لأيِّ سبب؟ لأنَّ الأب لا يربِّي ابنه جيداً

فالأهل إذاً مسؤولون وبشكل خاص أمام اللّه عن أطفالهم

إذا نمت داخل حديقة المنزل شجرة موحشة، لن يفكّر أحدٌ من أهل المنزل باقتلاعها، لكنّهم سيلقون بالمسؤولية على البستاني الذي تركها تنمو وتكبر دون اعتناء أو اهتمام وصارت بذلك موحشة. وبالتالي تقع مسؤولية وجود الزؤان في قلوب الأطفال على الأهل

ففكّروا بهذه المسؤولية إذاً ولا تردّوا بمواقفكم وعدم مبالاتكم السلبية مسيرة الأولاد نحو اللّه، فأنتم مجبرون أن تقودوا الأولاد

إلى المخلّص الذي يدعوهم لقربه دوماً ويقول: "**دَعُوا الأطفالَ يأتون إليَّ، ولا تمنعوهم**" (مرقس ١٠:١٤)

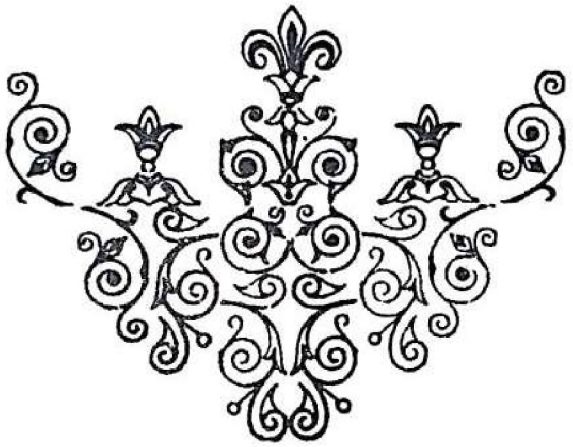

المُلحق

أخيراً، كيف... تُدَمِّرون أولادكم؟!

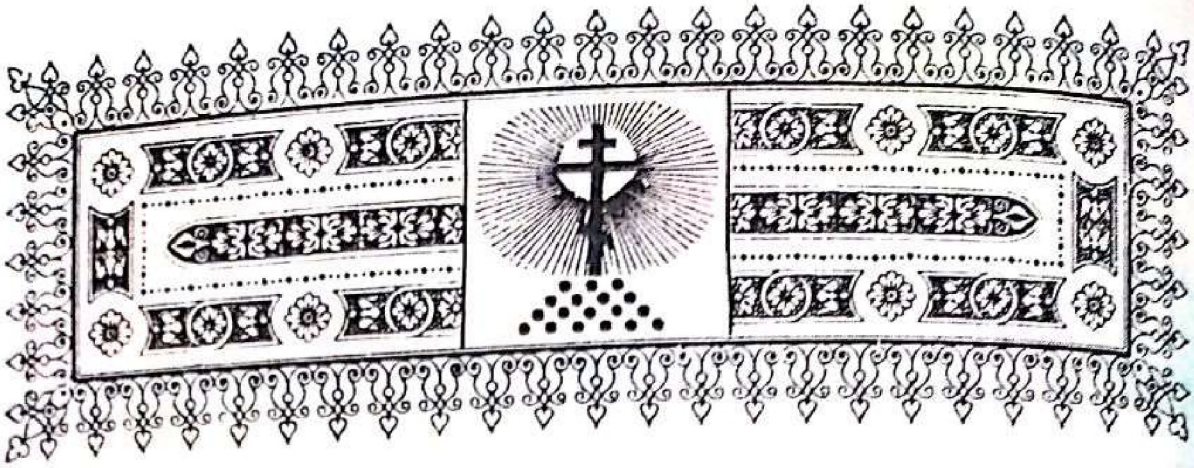

⌘ لا ترفضوا للولد منذ الصِغر أيّ طلبٍ، وأعطوه ما شاء من رغباته وخاصّة عندما يعاند ويبكي. وهكذا عندما سيكبر معتقداً أنّ الآخرين عليهم أن يعطوه كلّ شيء وأنّ له الحق في ذلك

⌘ اضحكوا عندما يبدأ يتلفظ بالشتائم، فبهذا سيفهم أنّه ولدٌ ذكي جداً

⌘ لا تقولوا له أبداً: "هذا سيء!". العقول البالية مَن تقول هذا. وعندما يتعرَّض لاحقاً لمصاعب الحياة سيكون عنده إيمان أنّ الجميع ليسوا عادلين معه

⌘ رتِّبوا أنتم أغراضه المنتشرة هنا وهناك - الكتب، الثياب، الأحذية...- ولا تقولوا له مطلقاً: "اجمَعْ أغراضَكَ وأَرجِعها إلى

أمكنتها". وهنا سوف يكبر على فكرة الأمِّ الخادمة له والتي هي مسؤولة عن كلِّ شيء

⌘ دعه يشاهد كلَّ ما يُقدَّم على شاشة التلفاز، ويقرأ ويطالع ما يحلو له من الكتب دون أن تراقبه مطلقاً. فابنكم سريع البديهة وذكي يعرف التمييز! فثقافته ستأخذ أبعاداً واسعة جداً

⌘ لا تهتمُّوا بتنشئته روحيّاً. واهزؤوا بالإيمان والكنيسة، وبالآباء والشيوخ، وكلّ الذين يخدمون ويصلُّون فيها. وعندما يكبر الطفل "سيختار بنفسه"

⌘ أعطوه ما استطعتم من المال لكي لا يشعر أنّه دون البقيّة ولا تحرموه من شيء لأنّكم أنتم حُرِمْتم قديماً. وعندما سيكبر سيعرف أنَّه مستحقٌّ أن يأخذ المال غير مبالٍ بالطريقة التي يكسبه فيها

⌘ لا تقولوا له مطلقاً: "افعَلْ هذا" أو "لا تفعل ذاك". لأنَّك بهذا تضغط عليه ولا تحترم شخصيَّته وحريَّته. وبذلك تخلق فيه جروحاً نفسية! فعندما سيكبر سيتأكَّد أنَّ الحياة هي فقط أن تأمر وليس أن تسمع

⌘ دوماً كونوا من صفه أمام الأساتذة والجيران والأقارب والمعارف. لا تصدقوا أنَّ "ملاككم" يستطيع أن يعمل أعمالاً سيِّئة

وفضائح ورذائل. أمّا الآخرون فلا يتحدَّثون عنه إلاَّ من باب الغيرة والنميمة

⌘ إذا رأيتم ولداً في قسم الشرطة بسبب قيامه بالسرقة أو تعاطيه مخدرات، عندها اصرخوا أنتم بالصوت العالي أمام الآخرين بأنَّكم بذلتم ما استطعتم تجاهه ولكنّه لم يرتدع وبهذا تخرجون أنقياء لا علاقة لكم به فهو ولد متشرِّد متسوِّل اختار بنفسه هذه الحياة لوحده

"فاستعدوا إذاً لحياة مملوءة تعباً وتوبيخ ضمير"

(مأخوذة عن الفرنسيّة)